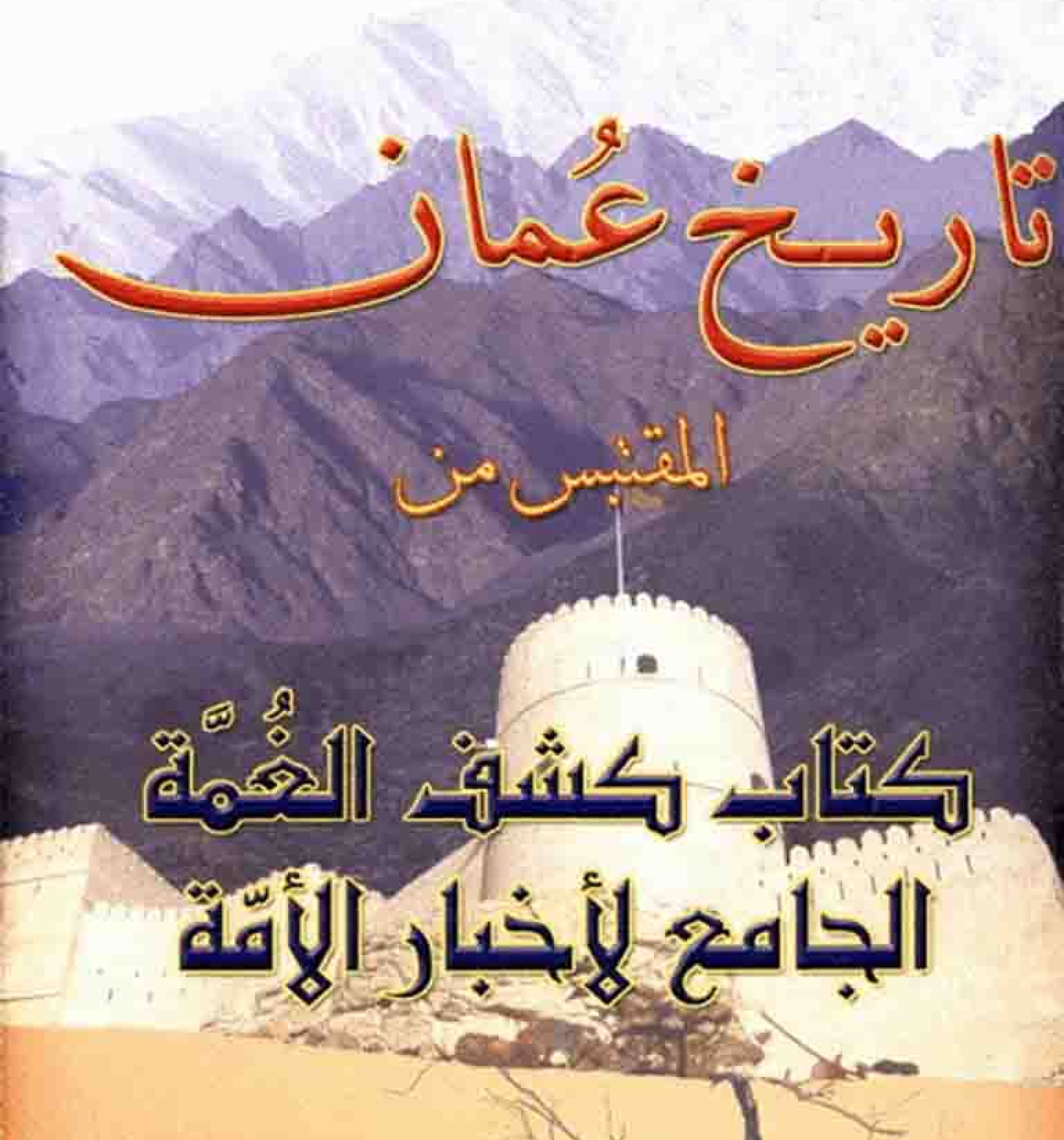


تاريخ عُمان

المقتبس من

كتاب كشف الغُمَّة الجامع لأخبار الأمّة

تأليف
سرحان بن سعيد الأزكوي العُماني

حققه
عبدالمجيد حسيب القيسي

الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

تاريخ عُمان

المقتبس من

كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة

تأليف

سرحان بن سعيد الأزكوي العماني

حققه

عبد المجيد حسيب القيسي

الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مقدمة المحقق

بقلم: عبد المجيد القيسي

يعد هذا الكتاب أول تاريخ جامع واف، كتبه عن تاريخ عمان أحد أبنائها البررة وقد ظل منذ قرنين من الزمان المصدر الأول والأهم – إن لم يكن الأوحد – الذي عنه نقل الآخرون ومنه نهلوا، فهو يعطي للقارئ العجلان صورة شاملة وافية عن تاريخ القوم بأمجاده ومآسيه وهو يتيح للباحث المتعمق مادة أصلية لمزيد من الدرس والاستقصاء.

فالكتاب ظاهره كتاب تاريخ، وهو يشمل تاريخ العرب منذ أيام الجاهلية حتى أواسط العصر العباسي ثم يعرج على تاريخ عمان فيخصص له فصولاً من الكتاب، وبهذا فهو يعتبر المصدر الرئيسي إن لم يكن الأول للتاريخ العماني وعنه نقل من جاء بعده من المؤرخين، لكن الغرض الأهم الذي قصد إليه الكتاب هو البحث في نشوء العقائد الدينية، وهو يعرضها من وجهة نظر خاصة لفرقة إسلامية كريمة ينتظم فيها أغلب أهل عمان وبعض من أهل المغرب وشمال أفريقيا وهي الفرقة الأباضية، والواقع أن المؤلف أراد من وضع هذا الكتاب الدعوة إلى عقيدته الأباضية أو دفع الشبهات عنها وليس أدل على هذا من قوله في المقدمة "وصنفت هذا الكتاب ... وجعلت ظاهره في القصص والأخبار وباطنه في المذهب المختار... عسى إنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون".

وتقتضينا أمانة البحث أن نسارع إلى القول إن ما ننشره اليوم هو الجزء الخاص بتاريخ عمان من هذا الكتاب فقط، ولهذا اسميناه "المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة" وهو وإن يكن جزءاً صغيراً منه إلا أنه من

الوجهة التاريخية الصرفة أهم ما في الكتاب ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الجزء هو السبب في شهرة الكتاب وذيوع اسمه في عصرنا الحالي.

وإنما اخترنا هذا القسم وأسرعنا إلى نشره لشدة الحاجة إليه مصدراً مطبوعاً بين أيدي الباحثين والمؤرخين، راجين أن نكون في عملنا قد يسّرنا بعض سبل البحث وقربنا بعيدها وسهّلنا عسيرها، على أننا لن نكتفي من الأمر بهذا القدر فقط وإنما سنسعى إلى إكمال تحقيق بقية أجزاء الكتاب ونشرها في مستقبل قريب نرجو ألا يطول انتظار القراء له. ومع هذا وفي سبيل إعطاء فكرة عامة عن منهج الكتاب ومحتوياته فقد اثرنا أن ننشر مقدمته وفهرست مواضيعه كما وضعها المؤلف نفسه.

ويبدو أن هناك نسخاً كثيرة من مخطوطة هذا الكتاب في مكتبات العالم، فهناك نسخ منها في مكتبة المتحف البريطاني وأخرى في المكتبة الوطنية في باريس وأخرى في المكتبة الظاهرية في دمشق وأخريات في كل من القاهرة وتونس وميلانو وبرلين والدمام.

لكن هذه النسخ على وفرتها لم تزدنا علماً بمؤلف هذا الكتاب فجميعها خلو من اسمه إلا واحدة قيل إنها نسخة الدمام حملت اسماً هو سرحان بن سعيد الأزكوي، ولكن ورود هذا الاسم لم يحسم النزاع بين الباحثين حول صحة نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف المذكور خاصة وأن مصادر الأخبار العمانية لا تذكر هذا الاسم ولا تشير إليه.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن هناك كتابين اخرين في تاريخ عمان يكادان أن يكونا صورة طبق الأصل من هذا الجزء الذي ننشره اليوم من كتاب "كشف الغمة" والكتاب الأول هو كتاب "قصص وأخبار جرت في عمان" من تأليف أبي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، والكتاب الثاني هو "تاريخ

عمان" لمؤلف مجهول، وكل الفرق بين هذه الكتب الثلاثة هو أن "كشف الغمة" يقف في أخباره عند العام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م في حين يمضي كتاب القصص والأخبار إلى أبعد من هذا قليلاً فيصل إلى عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م ويستمر تاريخ المؤلف المجهول إلى أبعد من ذلك فيصل بأخباره حتى نهاية القرن الثامن عشر وإلى أيام السيد سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد أي إلى حوالي عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.

والمعولي مؤلف كتاب "قصص وأخبار" رجل معروف أرّخ له المؤرخون العمانيون وذكروا أنه كان عالماً وشاعراً ومؤرخاً وفقيهاً وعددوا له بعض المؤلفات في حين أن سرحان بن سعيد الأزكوي، الذي ينسب إليه كتاب الكشف شخص مجهول لم يرد له – كما قلنا من قبل – ذكر في الأخبار ولهذا فلا نرى من المعقول أن يسطو شخص له مقام المعولي على كتاب لغيره ثم ينسبه إلى نفسه وفي استطاعته أن يكتب مثله وأحسن منه، ولعل هذا أن يوحي لنا بأن المعولي نفسه هو مؤلف كشف الغمة. والله أعلم.

وقد تهيأت الشهرة لهذا الكتاب بسبب ترجمة القسم العماني منه إلى اللغة الإنجليزية ونشره فيها. وقد قام بهذه الترجمة المستر: إي سي. روس E. C. Ross وكان معتمداً بريطانياً في مسقط، فعثر في مكتبة سلاطين الالبوسعيد على نسخة من هذا الكتاب فترجم القسم العماني منه إلى اللغة الإنجليزية ونشره في مجلة الجمعية الاسيوية في البنغال عام ١٨٧٤ بعنوان "أخبار عمان من أقدم العصور حتى عام ١٧٢٨" "Annals of Oman from old days until 1728" وكان هذا ثاني كتاب يصدر في الإنجليزية عن عمان وكان الأول كتاب الفتح المبين للمؤرخ العماني إبن زريق والذي ترجمه إلى الإنجليزية المستر بادجر Badger ونشره بعنوان Sayyids And Imams in Oman.

وقد قامت باحثة ألمانية تدعى هيدويج كلاين في عام ١٩٣٨ بتحقيق الفصل الرابع من كتاب كشف الغمة (وهو الفصل الأول من كتابنا هذا) وجعلته رسالتها للدكتوراه، وقد اعتمدت الباحثة كلاين على نسخة خاصة كانت في برلين ولم يعد لها أثر الان.

أما كتابنا هذا فيقتصر من كتاب كشف الغمة على أبواب ستة هي الباب ٤ و ٣٣ و ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ وهي الأبواب المخصصة لتاريخ عمان في الكتاب.

وقد اعتمدنا في التحقيق على نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق (برقم ت ٣٤٧) وتاريخ تمام نسخها عام ١٣١٢هـ/١٨٩٧م وقابلناها على نسخة مكتبة المتحف البريطاني (برقم ٨٠٧٦) وتاريخ تمامها عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٤م.

ومخطوطة دمشق – ولعلها هي نفسها نسخة باريس – كتبت بخط جميل منسق واضح والعناية بها ظاهرة واضحة، أما نسخة المتحف البريطاني فذات خط رديء وإملاء سقيم وقد غلب عليها إغفال تنقيط الحروف وكثر فيها السهو وسقوط الكلمات والأسطر بل وفي بعض الأحيان صفحات كاملات، وبالإجمال، فهي لوحدها لا تصلح أساساً للبحث والدرس.

وقد عدنا فطابقنا التحقيق ثانية وثالثة على مخطوطتي المعولي والتاريخ المجهول محاولين الإقتراب بها نحو الدقة والكمال قدر الإمكان. دون أن نثقل على القارئ بكثرة الهوامش والتعليقات.

ولأجل أن يتكون من هذا الفصول كتاب مستقل قائم بذاته يسهل الرجوع إليه فقد عمدنا إلى تقسيم الكتاب إلى أجزاء قصيرة متعددة ووضعنا لها عناوين خاصة، ثم أضفنا إلى الكتاب فهرساً للأعلام.

كما رأينا إتماماً للفائدة أن نمضي بالقصة إلى أبعد مما وقف عنده مؤلف كشف الغمة فأضفنا إلى الكتاب ملحقاً هو في الواقع الفصل الأخير من كتاب التاريخ المجهول وبهذا وصلنا بالقصة إلى بداية القرن التاسع عشر.

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن الكتاب وتاريخه على أن نعود إلى تفصيل ذلك عند نشر الكتاب كاملاً في مستقبل قريب إن شاء الله كما وعدنا بذلك من قبل.

وبعد فنرجو أن نكون قد أسهمنا في جهدنا هذا في أداء قسط جليل من واجبنا في خدمة تاريخ هذه المنطقة كما سبق لنا أن أسهمنا في خدمة حاضرها. فإن يكن الله تعالى قد يسر لنا ذلك ووفقنا إليه فهي نعمة سابغة لا نملك تجاهها إلا الحمد والشكران للمولى المنان منه.
هذا ولله وحده الكمال ومنه تعالى الهداية والتوفيق.

عبد المجيد حسيب القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبناها، وسطح الأرض على وجه الماء ودحاها، وجعل لها الجبال أوتادا فأرساها، وخلق ادم عليه السلام من طين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وأخرج ذريته أطواراً متتابعين، فأمرهم ليمتثلوا أوامره طائعين، ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين، فكان أكثرهم لأمره تاركين، ولم يكونوا لنهيه مجانبين، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين فبينوا لهم الحق المبين، وأوضحوا لهم السبيل المستبين واتوهم بالحجج القاهرة والبراهين، فمنهم من أطاع واهتدى ومنهم من ضل وغوى "ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى"(١) والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أله الطيبين الطاهرين وبعد:

قد دعتنى الهمة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتخليص معانيه وتصنيفه فلبيتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن أنا للتأليف أهلاً، وذلك لما رايت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، ومالوا إلى حب السادات ذوي التشريف، قد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي خلفها السلف ليعرفوا المحق ممن هو على شفا جرف هار فانهار به إلى التلف، وقد سمعت أحداً ممن يتحلى بالعلم وينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول عجل أهل النهر بخروجهم عن طاعة ذي الفخر، وقد عرفت من كثير ممن ينتمي لهذا المذهب، ويعزى إليه ويعرف به وينسب، خلافاً لأئمته الذين أسسوه، وركوناً إلى الذين انفوا عنه ودنسوه فصنفت هذا الكتاب، وبينت فيه عذر أولي

١- سورة النجم الآية ٣١.

الألباب، وجعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون ولاستماع القصص عن اللغو يبتغون فملت إلى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين. ولقراءته بصميم القلب مهطعين. عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون. وسميته:

" كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة"

فمن وقف عليه ودخل فيه. فليمهد إلى العذر فيه. لأني ركيك الفهم قليل الحفظ والعلم وإن بان له خطأ في معانيه، فليصلح بفضل منه مبانيه. وعلى الله أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل وأنا استغفر الله من مخالفة أهل الحق والتفضيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرست الأبواب لكتاب كشف الغمة

تمت الأبواب بعون الملك الوهاب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد واله وصحبه الأخيار وسلم.

* * *

فهرست الكتاب

الصفحة

الصفحة

الفصـــل الثالـــث

في ذكر الإمامين سعيد بن عبدالله وراشد بن الوليد ومن بعدهما من الأئمة

الفصل الرابع

ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة وغيرهم

الفصل الخامس

من ظهور الإمام ناصر بن مرشد حتى وقوع الفتنة بين اليعاربة

الفصل السادس

في ذكر وقوع الفتنة في عمان وما الت إليه تلك الأمور

الفصـــل السابـــع

فـــي ذكـرنهـايــة اليعــاربـــة

الصفحة

الفصـــل الثامـــن

في ظهور الإمام أحمد بن سعيد الألبوسعيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
في انتقال الأزد إلى عمان وإجلاء الفرس عنها

١- دخول الأزد إلى عمان بقيادة مالك بن فهم وطرد الفرس منها:

قال الكلبي: أن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم بن غانم بن دوس ابن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد الأزدي ثم الدوسي، وكان سبب خروجه إلى عمان أنه كان له جار وكان لجاره كلبه وكان بنو أخيه عمرو بن فهم يسرحون ويروحون فيمرون على بيت ذلك الرجل وكانت الكلبة تنبحهم وتفرق أغنامهم فرمى بها رجل منهم بسهم فقتلها فشكا إليه جاره فغضب مالك وقال لا أقيم ببلد ينال عليه هذا من جاري فخرج مراغماً لأخيه.

وقيل ان راعياً كان في طريق بيته كلب عقور لغلام من دوس فشد الكلب على الراعي فرماه بسهم فقتله فعرض صاحب الكلب للراعي فخرج مالك من السراة بمن أطاعه من قومه فسمي ذلك النجد "نجد الكلبة" فلما توسط مالك الطريق حنت إبله إلى مراعيها وجعلت تتلفت إلى السراة وتردد الحنين فقال مالك:

تحن إلى أوطانها إبل مالك ... ومن دونها عرض افلا والدكادك

وفي كل أرض للفتى متقلب ... وليست بدار الذل يوماً برامك

ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب ... رحاب النواحي واضحات المسالك

(*) وهو الباب الرابع من كتاب كشف الغمة.

وقال أيضاً:

تحن إلى أوطانها بزل مالك ... ومن دون ما تهوى المزار المقارف

وسيح أبي فيه منع لضائم ... وفتيان أنجاد كرام غطارف

فحني رويداً واستريحي وبلغي ... فهيهات منك اليوم تلك المألف

ثم سار يريد عمان فكان لا يمر بحي من أحياء العرب من معد أو عدنان إلا سالموه ووادعوه لمنعته وكثرة عساكره وسار حتى نزل برهوت وهو بلد بحضرموت. فلبث فيه حتى راح واستراح وبلغه أن بعمان الفرس وهم ساكنوها فعبأ عساكره وعرضها ويقال إنهم كانوا ستة الاف فارس وراجل فاستعد قاصداً لعمان وجعل على مقدمته ابنه هناءة ويقال فراهيد في ألفي فارس من صناديد قومه. فلما وصل الشحر تخلف مهرة بن حميدان بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير، فنزل الشحر، وسار مالك حتى دخل عمان بعسكره في الخيل والعدة فوجد بها الفرس من جهة الملك دارا بن دارا بن بهمن بن اسفيديار وهم يومئذ أهلها وسكانها والمتقدم عليهم المرزبان عامل الملك (١).

فعند ذلك اعتزل مالك بمن معه إلى جانب قلهات من شط عمان ليكون أمنع لهم وترك العيال والأثقال وترك معهم من يمنعهم من العسكر وسار ببقية العسكر. وجعل على المقدمة ابنه هناءة في ألفي فارس وسار حتى نزل بناحية الجوف(٢) فعسكر عسكره وضرب مضاربه بالصحراء وأرسل إلى الفرس يطلب إليهم النزول في قطر من أقطار عمان وأن يمكنوه ويفسحوا له في الماء والكلأ ليقيم معهم.

---

(١) كان الفرس يحتلون سواحل عمان، وصحار خاصة ولم يكونوا قط أهل البلاد وساكنيها كما يوحي بذلك نص الخبر.

(٢) الجوف أرض فسيحة بداخلية عمان من ناحية نزوى.

فلما وصلت رسله إلى المرزبان وأصحابه ائتمروا فيما بينهم وتشاوروا حتى طال ترديد الكلام والتشاور بينهم ثم أجمع رأيهم على صرفه وقالوا ما نحب هذا العربي ينزل معنا فيضيّق علينا أرضنا وبلادنا فلا حاجة لنا إلى قربه وجواره. فلما وصل جوابهم إلى مالك أرسل إليهم: " أنه لا بد لي من النزول في قطر من عمان وأن تواسوني (٣) في الماء والكلأ والمراعي فإن تركتموني طوعاً نزلت في البلاد وحمدتكم، وإن أبيتم أقمت على كرهكم فإن قاتلتموني قاتلتكم. فإن ظهرت عليكم قتلت المقاتلة وسبيت الذرية ولم أترك أحداً منكم ينزل بعمان أبداً". فأبوا أن يتركوه طوعاً وجعلوا يستعدون لحربه وقتاله وأقام مالك بناحية الجوف حتى أراح واستراح وتأهب لحرب الفرس وقتالهم.

وكان هناك حتى استعدت الفرس لحربه وقتاله. ثم إن المرزبان أمر أن ينفخ في البوق وتضرب الطبول وركب من صحار في جنوده وعساكره في عسكر جم يقال إنه في زهاء أربعين ألفاً ويقال ثلاثين ألفاً ومعه فيلة وسار يريد لقاء الجوف مالك. ونزل بصحراء سلوت قريباً من نزوى فبلغ ذلك مالك بن فهم فركب في ستة آلاف حتى أتى صحراء سلوت، فعسكر فيها بإزاء عسكر المرزبان فمكثوا يومهم ذلك لم يكن بينهم حرب. ثم إن مالك بن فهم بات ليلته يعبيء عساكره يمنة ويسرة وقلباً ويكتب الكتائب ويوقف فرسان الأزد مواقفهم فولى الميمنة ابنه هناءة وولى الميسرة ابنه فراهيد، ووقف هو في القلب في أهل النجدة والشدة.

وبات المرزبان يكتب كتائبه ويوقف أصحابه مواقفهم واستعد كلا الفريقين وركب مالك فرساً له أبلق ولبس درعين ولبس عليهما غلالة حمراء وتكمم على رأسه بكمة حديد، وتعمم عليها بعمامة صفراء. وركب معه ولده وفرسان الأزد على تلك التعبئة وقد تقنعوا بالدروع والبيض والجواشن ولم يظهر غير الحدق.

---

(٣) بمعنى تساووني وإياكم.

فلما تواقفوا للحرب جعل مالك يدور على أصحابه راية راية وكتيبة كتيبة. ويقول " أيا معشر الأزد يا أهل النجدة والحفاظ حاموا عن أحسابكم وذبوا عن أبنائكم قاتلوا وناصحوا ملككم وسلطانكم. فإنكم إن انهزمتم تبعتكم الفرس بجنودها فاختطفوكم واصطادوكم بين كل حجر ومدر، وباد عنكم ملككم وسلطانكم فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والحفاظ فإن هذا اليوم له ما بعده". وجعل يحرضهم ويأمرهم بالصبر والحفاظ.

ثم أن المرزبان زحف بجميع عساكره وقواده وجعل الفيلة أمامه، وأقبل نحو مالك وأصحابه ونادى مالك بالحملة عليهم وقال يا معشر الأزد اعملوا معي فداكم أبي وأمي على هذه الفيلة فاكتنفوها بأسيافكم وأسنتكم.

ثم حمل وحملوا معه على الفيلة بالرماح والسيوف ورشقوها بالسهام فولت الفيلة راجعة على عسكر المرزبان فوطئت منهم خلقاً كثيراً وحمل مالك وكافة أصحابه على المرزبان فانتفضت صفوف العجم وجالوا جولة ثم تزاحفت العجم بعضها إلى بعض وأقبلت في حدها وحديدها. وصاح المرزبان بأصحابه وأمرهم بالحملة فالتقى الجمعان واختلف الطعن والضرب والطعان واشتد القتال وعظم النزال ولم يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف فاقتتلوا يومهم ذلك إلى أن حال بينهم الليل وانصرف بعضهم عن بعض. وقد كثر القتل والجراح في الجميع.

ثم ابتكروا من الغد فاقتتلوا قتالاً شديداً وقتل من الفرس خلق كثير وثبتت لهم الأزد إلى أن حال بينهم الليل.

فلما أصبحوا في اليوم الثالث زحف الفريقان بعضهم إلى بعض فوقفوا مواقفهم تحت راياتهم وأقبل أربعة نفر من المرازبة والأساورة ممن كان يعد الواحد منهم بألف رجل حتى دنوا من مالك فقالوا هلم إلينا لننصفك من أنفسنا

ويبارزك منا واحد بعد واحد. فتقدم مالك إليهم وخرج واحد منهم فطارد مالكاً ساعة فعطف عليه مالك فطعنه برمحه في صلبه فخر على فرسه إلى الأرض فضربه بالسيف فقتله.

ثم حمل الفارس الثاني على مالك وضرب مالكاً فلم تصنع ضربته شيئاً وضربه مالك على مفرق رأسه فقد البيضة والرأس وخر الفارس ميتاً. ثم حمل على الفارس الثالث فضربه مالك على عاتقه فقسمه قسمين ووصل السيف إلى الدابة فقطعها نصفين، فلما رأى الفارس الرابع ما صنع مالك بأصحابه كاعت نفسه(١) وولى راجعاً نحو أصحابه حتى دخل بينهم وانصرف مالك إلى موقفه وقد تفاءل بالظفر. وفرحت بذلك الأزد فرحاً شديداً ونشطوا للحرب.

فلما رأى المرزبان ما صنع مالك بقواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب فخرج من بين أصحابه وقال (لا خير لي في الحياة بعدهم) ونادى مالكاً وقال له : (.. أيها العربي أخرج إلي إن كنت تحاول ملكاً فأينا ظفر بصاحبه كان له ما يحاول ولا نعرض أصحابنا للهلاك).

فخرج إليه مالك برباطة جأش وشدة قلب فتجاولا بين الصفين ملياً وقد قبض الجمعان أعنة خيولهم ينظرون ما يكون منهما، ثم أن المرزبان حمل على مالك بالسيف حملة الأسد فراغ عنه مالك وضربه بسيفه على مفرق رأسه فقد البيضة والدرع وأبان رأسه عن جسده فزحف الفريقان بعضهما إلى بعض واقتتلوا من نصف النهار إلى العصر وأكل أصحاب المرزبان السيف وصدقتهم الأزد الضرب والطعان فولوا منهزمين حتى انتهوا إلى معسكرهم وقد قتل منهم خلق كثير وكثر الجراح في عامتهم فعند ذلك أرسلوا إلى مالك يطلبون منه الصلح وأن يكف عنهم الحرب وأن يؤجلهم إلى سنة ليخرجوا من عمان وأعطوه

---

(١) كاعت بمعنى خافت وجزعت (المعجم الوسيط).

على ذلك عهداً وجزية فأجابهم مالك إلى ذلك وأعطاهم عهداً لا يعارضهم حتى يبدأوه بحرب وكف عنهم الحرب وعادوا إلى صحار وما حولها من الشطوط وكانوا هناك والأزد في عمان.

وانحاز مالك إلى جانب قلهات فقيل إن الفرس في تلك المهادنة طمسوا أنهاراً كثيرة وأعموها وكان سليمان بن داود عليه السلام أقام بعمان عشرة أيام وقد حفر فيها عشرة الاف فلجاً (١) وطمس الفرس أكثرها في مدة الصلح التي طلبوها من مالك بن فهم.

ثم إن الفرس كتبوا إلى الملك دارا بن دارا بقدوم مالك إلى عمان ممن معه وما جرى بينهم وبينه من الحرب وقتل قائدهم المرزبان وجل أصحابهم وأخبروه بما هم فيه من الضعف والعجز وأستاذنوه في التحمل إليه بأهليهم وذراريهم.

فلما وصل كتابهم إليه وقرأه غضب غضباً شديداً وداخله القلق وأخذته الحمية عن قتل من قتل من أصحابه وقواده فعند ذلك دعا بقائد من عظماء مرازبته وأساورته وعقد له على ثلاثة الاف من أجلاء أصحابه ومرازبته وبعثهم مدداً لأصحابه الذين بعمان فتحملوا إلى البحرين ثم خلصوا إلى عمان وكل هذا لم يدر به مالك فلما وصلوا إلى أصحابهم أخذوا يتأهبون للحرب حتى انقضى أجل العهد فجعل مالك يستطلع أخبارهم وبلغه وصول المدد إليهم فكتب إليهم:- (إني قد وفيت بما كان بيني وبينكم من العهد وتأكيد الأجل وأنتم بعد حلول بعمان، وبلغني أنه قد أتاكم من قبل الملك مدد عظيم وأنكم تستعدون لحربي وقتالي فإما أن تخرجوا من عمان طوعاً وإلا رجعت عليكم بخيلي ورجلي ووطيت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم، وغنمت أموالكم).

---

(١) الفلج وجمعها أفلاج، قنوات لسحب مياه العيون للإفادة منها في السقاية والري.

فلما وصل رسوله إليهم هالهم أمره وعظموا رسالته لهم مع قلة عسكره وكثرتهم وما هم فيه من القوة والمنعة وزادهم غيظاً وحنقاً وردوا عليه أقبح رد فعند ذلك زحف عليهم مالك في خيله ورجله وسار حتى وطئ أرضهم واستعدت الفرس لقتاله ومعهم الفيلة فلما قربوا من عسكره عبأ أصحابه راية راية وكتيبة كتيبة وجعل على الميمنة ابنه هناءة وعلى الميسرة ولده فراهيد، وأقام هو وبقية أولاده في القلب.

وألتقوا هم والفرس واقتتلوا قتالاً شديداً ودارت رحى الحرب بينهم ملياً من النهار ثم انكشفت العجم وكان معهم فيل عظيم فتركوه فدنا منه هناءة فضربه على خرطومه فولى وله صياح وتبعه معن بن مالك فعرقبه(١) فسقط. ثم أن العجم ثابوا وتراجعوا وحملوا على الأزد حملة رجل واحد فجالت الأزد جولة ونادى مالك: يا معشر الأزد أقصدوا إلى لوائهم فاكشفوه من كل وجهة. وحمل بهم على العجم حملة رجل واحد حتى كشفوا اللواء واختلط الضرب والتحم القتال وارتفع الغبار وثار العجاج حتى حجب الشمس، فلم يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف. وتراموا بالسهام فتقصدت وتجالدوا بالسيوف فتكسرت وتطاعنوا بالرماح فانحطمت وصبروا صبراً جميلاً، وكثر الجراح والقتل في الفريقين. ثم لم يكن للفرس ثبات وولوا منهزمين على وجوههم فاتبعهم فرسان الأزد يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجعلوا يطلبونهم حيث مالقوهم وأدركوهم ولم يفت عنهم إلا من ستره الليل.

وتحمل بقية الفرس في السفن وركبوا البحر إلى فارس فاستولى مالك على عمان وغنم جميع أموال الفرس وأسر منهم خلقاً كثيراً مكثوا في السجن زماناً طويلاً. ثم أطلقهم مالك ومن عليهم بأرواحهم وكساهم وزودهم ووصلهم في السفن إلى أرض فارس. وملك عمان وما يليها من الأطراف وساسها سياسة

---

(١) عرقب الدابة قطع عرقوبها، والعرقوب عصب خلف الكعبين والمقصود هنا ضرب الفيل على قوائمه فأسقطه

حسنة وسار فيها سيرة جميلة وله ولأولاده في مسيرهم إلى عمان وحربهم الفرس أشعار كثيرة وشواهد تركتها طلباً للاختصار.

٢- انتقال العرب إلى عمان:

ثم جاءت إلى عمان قبائل كثيرة من الأزد، فأول من لحق بمالك من الأزد عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء وولداه الحجر والأسود. وتفرعت من الحجر والأسود بعمان قبائل كثيرة. ثم خرج ربيعة بن الحارث بن عبدالله بن عامر الغطريف وإخوته، وخرجت ملارس(١) بن عمرو بن عدي بن حارثة ودخل في هداد، ثم خرجت عمران(٢) بن عمرو بن الأزد، ثم خرجت اليحمد ابن حمى، ثم خرجت بنو غنم بن غالب ، ثم خرجت الحدان وأخوها زياد وهو الندب الأصغر، ثم خرجت معولة وهم بنو شمس ثم جاء الندب الأكبر، ثم خرجت الضيق، وخرج أناس من بني يشكر وخرج أناس من بني غامد(٣)، وخرجت أناس من خوالة وخرجت هذه القبائل كلها على رايتها لا يمرون على أحد إلا أكلوه حتى وصلوا عمان فملؤها وأقاموا في بلد ريف وخير واتساع.

وقد سميت الأزد عمان عماناً لأن منازلهم كانت على واد بمأرب يقال له عمان والعجم تسميها مزون.

إن كسرى سمى عمان مزوناً	ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل	ومراع ومشرب غير صاد

فلم تزل الأزد تنتقل إلى عمان حتى كثروا بها وقويت يدهم واشتدت شوكتهم وملؤها حتى انتشروا إلى البحرين وهجر.

---

(١) في الأصل (ملادس) ويبدو وجود تحريف في النسخ.
(٢) في الأصل (عرمان) وهو تحريف في النسخ.
(٣) في الأصل (عامد) فيحتمل وجود تحريف في النسخ، كما يمكن أن تكون (عامر) فبنو عامر بطن من الأزد القحطانية.

ثم نزل عمان من غير الأزد سامة بن لؤي بن غالب بتوام وهي الجو(١) في جوار الأزد وكان فيها أناس من بني سعد وأناس من بني عبد القيس وزوج ابنته بأسد بن عمران بن عمرو بن عامر.

ونزل بعمان ناس من بني تميم ومنهم ال جذيمة بن خازم، ونزلها ناس من بني النبت ومنازلهم عبري والسليف وتنعم والسر، ونزلها أناس من بني الحارث ابن كعب ومنازلهم بضنك أيضاً، ونزلها اناس من قضاعة نحو مائة رجل وهم بضنك أيضاً، ونزلها اناس من بني رواحة بن قطيعة بن عبس منهم أبو الهشم.(٢)

٣- أخبار مالك بن فهم :

واستقوى ملك مالك بن فهم بعمان وكثر ماله حتى هابته جميع القبائل من يمن ونزار. وكانت له جراءة وإقدام لم تكن لغيره من الملوك، وكان ينزل إلى شاطئ قلهات وينتقل إلى غيرها وينزل بناحية ملك من ملوك الأزد يقال له مالك ابن زهير وكان عظيم الشأن وكاد ان يكون مثل مالك في العز والقدرة فخشي مالك أن يقع بينهما تحاسد وأن تقع بينهما حرب فخطب منه ابنته فزوجه على أن تكون لأولادها منه التقدمة والكبر على ساير الأولاد من غيرها. فأجابه مالك ابن فهم إلى ذلك وتزوجها فولدت له سليمة بن مالك.

وملك مالك عمان سبعين سنة ولم ينازعة في ملكه عربي ولا عجمي مات وعمره مائة سنة وعشرون سنة وقيل هو الذي ذكره الله تعالى " يأخذ كل سفينة غصباً"(٣)، وقيل أن الملك الذي ذكره الله هو مسدلة(٤) بن الجلندى

---

(١) هي البريمي الحالية، وفي الأصل الجوف وهو تحريف في النسخ.
(٢) في الأصل أبو الهيثم.
(٣) سورة الكهف الاية ٧٩.
(٤) في الأصل مندلة.

ابن المستكبر. وقيل إنه هو المستنير(١) بن مسعود بن حرار بن عبد عز بن معولة بن شمس بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وليس هو كذلك، والقول الأول هو الأصح لأن الجلندى هذا والذي هو أب عباد وجيفر فقد كان قبل الإسلام بقليل. وقيل إنه أدرك الإسلام كما أدركه ولداه وقصة السفينة في زمن موسى عليه السلام. وبين موسى عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعوام ودهور.

٤- وفاة مالك بن فهم:

وقيل إن مالك بن فهم قتله ولده سليمة خطأ. وسبب ذلك قيل إن مالكاً جعل على أولاده الحراسة بالنوبة كل ليلة على رجل منهم ومعه الجماعة من خواصه وأمنائه. وكان سليمة أحب أخوته إلى أبيه وأحظاهم لديه وأكرمهم عليه وأرفعهم منزلة عنده وكان يعلمه الرمي حتى أحذقه وصار حاذقاً ماهراً فحسده أخوته لمكانه من أبيه وكانوا يطلبون له عثرة مع أبيه فلم يجدوا له عثرة. فأقبل ذات يوم نفر منهم إلى أبيهم فقالوا " يا أبانا إنك جعلت على كل رجل واحد منا نوبة من الحرس وكل منا قائم بنوبته ما خلا أخانا سليمة فإنه إذا كانت نوبته انفرد عن الحرس وتشاغل بالنوم عن الحرس. فلا تكن لك منه كفاية ولا غنى". وجعلوا يوهنون أمره وينسبونه إلى العجز والتقصير فقال لهم أبوهم " إن كلا منكم قائم بما عليه وليس بأحد منكم تقصير وقد فهمت قولكم في ولدي سليمة، فإنه لم تزل الأخوة يحسد بعضهم بعضاً لإيثار الاباء بعضهم على بعض وإن ظني به كعلمي به" ثم انصرفوا عنه ولم يبلغوا ما أملوه.

---

(١) في الأصل المستر.

ثم إن مالكاً داخله الشك فيما تكلموا به من أمر سليمة فأراد أن يختبر دعواهم، فلما كانت نوبة سليمة في الحرس وقد خرج سليمة في فرسان قومه وكان عادته إذا خرج للحرس انفرد عن أصحابه وكمن قريباً من دار أبيه فلما كانت تلك الليلة خرج مع أصحابه وتفرد عنهم كعادته وكمن في مكانه الأول وكان مالك قد خرج في تلك الليلة متنكراً مستخفياً لينظر هل يصح قول أولاده في سليمة، وكان سليمة قد أخذته تلك الساعة سنة وهو على ظهر فرسه. فلما رأى الفرس شخص مالك من بعيد صهلت فانتبه سليمة من سنته مذعوراً ورأى الفرس ناصباً أذنيه مقابلاً لما يراه وكان معوداً إذا رأى شيئاً نصب أذنيه مقابلاً لما يراه فيرمي الفارس السهم بين أذني الفرس فلا يخطأ ما يراه الفرس ففوق سليمة نحو أبيه مالك وهو لا يعلم أن ذلك الشخص أبوه فسمع مالك صوت السهم وقد خرج من كبد القوس فهتف به: " يا بني لا ترمي أنا أبوك". فقال: " يا أبت ملك السهم قصده". فأصاب مالكاً في لبة قلبه فقال ملك حين أصابه السهم قصيدة طويلة انتخبت منها هذه الأبيات:

جزاه الله من ولد جزاءً ... سليمة أنه ساماً جزاني
أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
توخاني بقدح شك لبي ... دقيق قد برته الراحتان
فأهوى سهمه كالبرق حتى ... أصاب به الفؤاد وما عداني

فلما مات مالك أنشده ولده هناءة يقول:

لو كان يبقى على الأيام ذو شرف ... لمجد لم يمت فهم وما ولدا
حلت على مالك الأملاك جانحة ... هدت بنا للعلا والمجد فانقصدا
أبا جذيمة لا تبعد ولا غلبت ... به المنايا وقد أودى وقد بعدا
لو كان يفدى لبيت العز ذو كرم ... فداك من حل سهل الأرض والخلدا
يا راعي الملك أضحى بعدك لا ... ندر الرعاة أجار الملك أم قصدا

٥- أخبار سليمة بن مالك:

ولما قتل سليمة أباه تخوف من إخوته واعتزلهم وأجمع على الخروج من بينهم فسار إليه أخوه هناءة في جماعة من وجوه قومه واجتمعوا إليه وكرّهوا إليه الخروج وكان أكثر تخوفه من أخيه معن فقال لهم إني لا أستطيع المقام معكم وقد قتلت أباكم وكان ذلك من سبب حسد إخوتي لي وقد يبلغني من معن ما أكره وإني لأخشى أن يغتالني في بعض سفهاء قومه، فناشدوه الله والرحم أن يقعد معهم وضمن له هناءة بتسليم الدية عنه إلى إخوته من ماله وأعفوه عن القود فقبل ذلك سليمة وأقام معهم وسلم هناءة الدية من ماله إلى إخوته فقبل الأخوة وعفوا إلا معن فإنه قبلها ولم يعف، وطمع هناءة أن يصلح ذات بينهم، وكان حسن السيرة في إخوته وقومه.

ثم إن معناً خلا له زمن لا يتعرض لسليمة بسوء حتى أكل الدية ثم جعل يطلب غفلة سليمة ويغري به سفهاء قومه من حيث لا يعلم به أحد، فبلغ ذلك سليمة فأقسم لا يقيم بأرض عمان وأجمع رأيه على ركوب البحر، فخرج هارباً في نفر من قومه فقطع البحر حتى نزل بر فارس وأقام بحاسك وتزوج بإمرأة منهم من قوم يقال لهم "الأسفاهية" فولده منها يسمون "بنو الأسفاهية"، فبينما سليمة ذات يوم قاعد ذكر أرض عمان وانفراده عن إخوته وما كان فيه من العز والسلطان فقال في ذلك شعراً:

كفى حزناً إني مقيم ببلدة	أخلائي عنها نازحون بعيد
أقلب طرفي في البلاد فلا أرى	وجوه أخلائي الذين أريد

٦- سليمة بن مالك يحكم بلاد كرمان:

ثم إنه رحل ونزل بأرض كرمان، وأقام عند بعض ملوكها وعرّفه بحسبه ونسبه وكيف حسده إخوته وكيف قتل أباه وكيف كان خروجه عن إخوته، فلما

عرفوا مكانه وشرفه كتموا أمره مخافة أن يعرض له بسوء لأجل ما كان من أمر أبيه مالك وأخيه جذيمة الأبرش في ملوك فارس وأكرموا مثواه وأعجبهم ما رأوا من فصاحته وجماله وكمال أمره فرفعوا قدره وأرادوا أن يجزوه بكريمة من كرائم نسائهم، وكان ملكهم في ذلك الزمان ولد (دارا بن دارا بن بهمن) وكان كثير العسف والظلم جباراً غشوماً على رعيته وأهل مملكته، وكان إذا تزوجت إمرأة من نسائهم ولم تزف إليه قبل زوجها قتلها وقتل أهلها وبعلها ولا يقدر أحد أن يبني بامرأة إلا بعد أن يغتصبها الملك ويجامعها بكراً كانت أم ثيّباً.

فأخبروا سليمة صنع الملك فيهم وشكوا إليه جوره وأنهم لا يقدرون عليه لكثرة حجابه وحرسه، فقال سليمة ماذا لي عليكم إذا كفيتكموه وأرحتكم منه، فقالوا أنى لك ذلك ولم يقدر عليه من كان قبلنا من أهل العز والسلطان، فقال تدبير الأمر عليّ فماذا لي عليكم؟ قالوا ما شئت : قال إذا كان الغد ليحضر عندي أهل الوفاء والعهد والتقديم منكم.

فلما كان الغد اجتمع إليه عظماء كرمان وأشرافها وأهل الوفاء فجرى الكلام بينهم فقال سليمة إن مكنتموني فيما أشرط عليكم دبرت الأمر، فقالوا كلهم لك ذلك، فقال أريد أن تصيروا لي ملكه وسلطانه لي ولعقبي من بعدي على أن اخذ جميع غلات كرمان وخراجها إلى أن أتمكن، وأنتخب من العرب من أردت وأجعلهم معي وعلى أن تزوجوني من نسائكم، فأعطوه ذلك وضربوا على يده، وقالوا لك الوفاء بجميع ما طلبت وشرطت وبايعوه على قتل الملك وأعطوه العهود والمواثيق على الوفاء وكتموا أمرهم.

وكان فيهم من بيت الملك وهم قوامه ونظام ملكه ولكن كثر عليهم ظلمه وكرهوه وأرادوا قتله راحة لهم، فانظروا أيها السامعون في عاقبة الظلم والجور أدى به إلى أن يقتله أقرباؤه ولو عدل لأحبه البعداء والأدنياء وتمنوا له طول العمر والنصر على الأعداء.

فلما فرغوا من البيعة زوجوه بامرأة من كرايم نسائهم وكل هذا والملك لم يعلم بشيء منه،فلما فرغوا من أمر التزويج عاهدهم سليمة على ليلة معلومة ليزفوه إلى الملك وقال أشهروا أمر التزويج ليتهيأ له الملك وليتأهب إلى مباشرة العرس.

فلما كان تلك الليلة أشهروا الزفة وعمدوا إلى سليمة فألبسوه الحلل الفاخرة والحلي السني وضمخوه بالطيب وكان شاباً حسناً جميلاً، وكان قد شحذ سكيناً وجعلها في سراويله وزفوه في الخدم والحشم حتى انتهوا به إلى الحصن ففتحت لهم الأبواب ودخلوا به ونظر إليه الملك في ضوء المشاميع وهو في تلك الهيئة الحسنة الجميلة فهاله منظره وسلب لبه وعقله فأومأ إلى النساء والخدم لينصرفوا فانصرفوا فأغلق الأبواب وأرخى الستور وبقي هو وسليمة في غرفة واحدة، وأهوى عليه يقبله ويضمه إلى صدره فاسترخى إليه سليمة وجعل يلاعبه ويداعبه، كما تفعل الجارية حتى تمكن منه فأخرج السكين وضربه في خاصرته وقتله، ولبس سليمة درع الملك وتقلد سيفه وجعل على رأسه البيضة وبات متأهباً ولم يعلم أحد بما صنع بالملك، وبات الذين بايعوه في خوف عظيم لا يدرون ما يكون من أمر سليمة والملك.

فلما طلع الفجر وثب سليمة إلى الأبواب ففتحها وخرج على الحراس وخاصة الملك وحجابه فوقع فيهم بالسيف حتى أباد عامتهم والباب العامد مغلوق لم يفتحه، ووقع الضجيج في الحصن وعلت الأصوات فأقبل أهل البيعة وغيرهم من أهل البلاد بالسلاح التام فأشرف عليهم سليمة من أعلى الحصن وعليه الدرع والبيضة، وبيده سيف الملك يقطر دماً، ورمى إليهم برأس الملك وجثته فلما نظروا إليه هالهم ما رأوه من أمر سليمة وجرأته وسر ذلك كثيراً من أهل البلد وخاف من لم يسره ذلك ولم يقدر يظهر حرباً ولا كلاماً واستقام الأمر لسليمة بأرض كرمان وسلمت له جميع رعاياها طوعاً ورغبة ورهبة.

ثم جعلوا في رجل الملك حبلاً وأمروا الصبيان أن يسحبوه ويطوفوا به شوارع البلد وسككها، ولما استقر الأمر لسليمة أهدوا إليه عروسه فابتنى بها وتمهد له الأمر واستولى على كور كرمان وثغورها ونواحيها وأطاعوه ومكنوه في نفوسهم وأموالهم وأعانوه في جميع أموره.

فلم يزل كذلك حتى حسدوه ونقموا عليه وقالوا إلى متى يملكنا هذا العربي ونحن أهل القوة والمنعة وجعلوا يتعرضون له في أطراف ملكه فكتب سليمة إلى أخيه هناءة بن مالك بعمان يستنصره ويطلب منه المعونة والمدد من فرسان الأزد ورجالهم يشد بهم عضده ويقيم بهم أود ما اعوج عليه من أهل مملكته، فأمده بثلاثة الاف من فرسان الأزد وشجعانهم وحملهم في المراكب حتى أوصلهم أرض كرمان فتحصلوا عند سليمة وأقاموا معه فشد بهم عضده وأقام بهم أود من تعاوج عليه من العجم، ولم يزل أمره مستقيماً بأرض كرمان فاشتد ملكه وقوى سلطانه وولد له عشرة أولاد كلهم ذكور وهم عبد وحماية وسعد ورواحة ومجاس وكلاب وأسد وزاهر وأسود وعثمان.

وتوفي سليمة بأرض كرمان واختلف رأي أولاده من بعده ودخل الناس بينهم فكان ذلك سبب زوال ملكهم ورجوع الملك إلى العجم فتغلبت الفرس عليهم واستولوا على ملك أبيهم واضمحل أمرهم فتقربوا بأرض كرمان. وفرقة منهم توجهت إلى عمان وجمهور بني سليمة بأرض كرمان لهم بأس وشدة وعدد كثير، وبعمان الأقل منهم.

٧- عودة الفرس إلى عمان:

ثم لم تكن للفرس رجعة إلى عمان بعد أن جلاهم مالك عنها إلى أن انقضى ملكه وملك أولاده من بعده وصار ملكها إلى الجلندى بن المستنير المعولي وصار ملك فارس إلى بني ساسان وهم رهط الأكاسرة وكان الصلح بينهم وبين

الجلندى بعمان، وكانوا يجعلون لهم أربعة الاف من الأساورة والمرازبة مع عامل لهم بها مع ملوك الأزد، وكانت الفرس في السواحل وشطوط البحر والأزد ملوكاً بالبادية والجبال وأطراف عمان. وكل الأمور منوطة بهم وكان كل من غضب عليه كسرى أو خافه على نفسه أو ملكه أرسله إلى عمان يحبسه بها ولم يزالوا كذلك إلى أن أظهر الله الإسلام بعمان والله أعلم.

(م ٣ - كشف الغمة)

الفصل الثاني

في أخبار أهل عُمان من ظهور الإسلام حتى اختلاف كلمتهم*

٨- إسلام أهل عمان:

قيل إن أول من أسلم من أهل عمان هو مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة(١) بن سعد بن نبهان ابن عمرو بن الغوث بن طي، وكان يسكن قرية سمايل، وقيل أنه جد سعيد أمبو علي، وكان يعبد صنماً يقال له ناجر فذبح يوماً له شاة وقرّبها إليه فسمع صوتاً من الصنم يقول:

يا مازن اسمع تسر ... ظهر خير وبطن شر

بعث نبي من مضر ... بدين الله الأكبر

فدع نحيتاً من حجر ... تسلم من حر سقر

ففزع من ذلك وقال إن هذا لعجب، ثم ذبح قرباناً اخر وقرّبه إليه فسمع من الصنم صوتاً يقول:

يا مازن أقبل تسمع ما لا تجهل

هذا نبي مرسل ... جاء بحق منزل

فآمن به تعدل ... عن حر نار تشعل

وقودها الناس والجندل

فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد دُبا فسأله ما الخبر وراءك، قال إنه ظهر رجل يقال له محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن

---

* هو الباب الثالث والثلاثون من كتاب كشف الغمة.

(١) في الأصل حطامة.

هاشم بن عبد مناف يقول لمن جاءه أجيبوا داعي الله فلست بمستكبر ولا جبار ولا محتال. أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض وأستنقذكم من نار تلظى لا يطفأ لهيبها ولا ينعم من سكنها.

قال مازن: هذا والله نبأ ما سمعته من الصنم فوثبت عليه وكسرته جذاذاً ثم ركبت راحلتي قاصداً نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدمت عليه سألته عن ما بعث إليه فشرح لي الرسول الإسلام فأسلمت ونوّر الله قلبي.

ثم قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع الله لأهل عمان، فقال النبي " اللهم أهدهم وثبتهم"، فقلت زدني يا رسول الله فقال: " اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم"، قال مازن: يا رسول الله البحر ينضح بجانبنا فادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا فقال: "اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم"، فقلت زدني فقال: "اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم" وقال لمازن: " قل يا مازن امين فإنه يستجيب عندها الدعاء" فقال مازن : امين.

ثم قال: يا رسول الله إني مولع بالطرب وبشرب الخمر لجوج بالنساء وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويرزقني ولداً تقرّ به عيني ويأتينا بالحيا فقال عليه السلام: "اللهم أبدله بالطرب قراءة القران وبالحرام حلالاً وبالعهر(١) عفة الفرج وبالخمر رياً لا إثم فيه واتهم بالحيا وهب له ولداً تقرّ به عينه" قال مازن فأذهب الله عني ما كنت أجد من الطرب وحججت حججاً(٢) وحفظت شطراً من القران وتزوجت أربع عقائل من العرب ورزقت ولداً وسميته حيان بن مازن.

---

(١) في الأصل وبالفهر.
(٢) في الأصل حجا.

ولمازن شعر، منه:

إليك رسول الله خبت مطيتـــي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العــرج (١)

لتشفع يا خير من وطئ الثـرى ... فتغفـر لـي ذنبـي فـأرجـع بالفلــج (٢)

إلى معشر خالفت في الله دينهـم ... فلا رأيهم رأي ولا شرجهـم شرجـي(٣)

وكنت امرأ باللهو والخمـر مولعاً ... شبـابـي إلـى أن اذن الجســم بالنـهـج

فبدلني بالـخمر أمنـاً وخشيـة ... وبالعهـر إحصانـاً فأحصـن لي فـرجـي

فأصبحت همي في الجهاد ونيتي ... فللـه مـا صـومـي ولـلـه مـا حجـي

٩- عمرو بن العاص في عمان وانتشار الإسلام فيها:

ثم إنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل عمان يدعوهم إلى الإسلام، وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر أبنا الجلندى، وكان أبوهما الجلندى قد مات في ذلك العصر، وكان كتابه صلى الله عليه وسلم:

" من محمد رسول الله إلى أهل عمان. أما بعد، أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأدوا الزكاة وأعمروا المساجد وإلا غزوتكم".

وكتب صلى الله عليه وسلم إلى عبد وجيفر:

بسم الله الرحمن الرحيم " من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى، أما بعد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإن أسلمتما ولّيتكما وإن أبيتما فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما".

---

(١) العرج: موضع قرب المدينة المنورة.

(٢) الفلج: النصر.

(٣) يقال ليس هو من شرجه أي ليس هو من طبقته وشكله.

وكان الكاتب لهذا أبي بن كعب وهو عليه السلام المملي عليه، وقد طوى الصحيفة وختمها بخاتمه وبعث بها مع عمرو بن العاص فقدم بها عمرو إلى عبد وجيفر، وأول موضع نزل به بعمان هو "دستجرد" وهي مدينة بصحار بنتها العجم فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى ابني الجلندى وهما ببادية عمان، فأول من لقيه عبد وهو أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً فأوصل عمرو إلى أخيه جيفر ودفع إليه الكتاب مختوماً ففض ختامه وقرأه ثم دفعه إلى عبد فقرأه ثم التفت إلى عمرو فقال إن هذا الذي تدعو إليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير وأنا أعيد فكري فيه وأعلمك.

ثم استحضر جماعة الأزد وبعثوا إلى كعب بن برشه العودي فسألوه عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه نبي وقد عرفت صفته وإنه سيظهر على العرب والعجم وأسلم كعب وعبد وجيفر وبعثوا إلى وجوه الناس فبايعوهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلوا في دينه وألزمهم تسليم الصدقة وأمروا عمرو بقبضها فقبضها منهم على الجهة التي أمره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- إخراج الفرس من عمان:

ثم بعث جيفر إلى مهرة والشحر ونواحيها فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبعث إلى دُبا وما يليها إلى اخر عمان فما ورد رسوله على أحد إلا أسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا بعمان فحين أبوا عن الإسلام اجتمعت الأزد إلى جيفر وقالوا لا تجاورنا العجم بعد هذا اليوم. وأجمعوا على إخراج عامل الفرس "مسكان" ومن معه من الفرس. فدعا جيفر بالأساوة والمرازبة فقال لهم إنه قد بعث نبي من العرب فاختاروا منا إحدى حالتين: إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم، فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج.

فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالاً شديداً وقتل مسكان وكثير من أصحابه وقواده ثم تحصن بقيتهم في مدينة دستجرد فحاصروهم أشد الحصار، فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة ويراع فأجابوا إلى ذلك وخرجوا من عمان وبقيت أموالهم وهذه الصوافي (١).

١١- عودة ابن العاص إلى المدينة:

ومكث معهم عمرو وهم له طائعون ولقوله سامعون إلى أن بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأراد الرجوع إلى المدينة فصحبه عبد بن الجلندى وجيفر ابن جشم العتكي وأبو صفرة سارف بن ظالم في جماعة من الأزد فقدموا مع عمرو بن العاص إلى أبي بكر رضي الله عنه فلما دخلوا عليه قام سارف بن ظالم وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا معشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا ووديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئنا إليكم منها، فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم وقام عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في الأزد.

وجاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه فلما كان من الغداة أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار وقام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال:

معاشر أهل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ولا عصيتموه كما عصيه غيركم من العرب، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت

---

(١) الصوافي، هي الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدتها صافية، وقيل الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته الصوافي. (لسان العرب).

شمل فجمع الله على الخير شملكم، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم، فأي فضل أبر من فضلكم وأي فعل أشرف من فعلكم، كفاكم قوله عليه السلام شرفاً إلى يوم المعاد، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ورحل عنكم إذ رحل مسلماً، وقد منّ الله عليكم بإسلام عبد وجيفر إبني الجلندي وأعزكم الله به وأعزه بكم وكنتم على خير حال جميل حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضاعف إلى فضلكم وقمتم مقاماً حمدناكم فيه، ومحضتم بالنصيحة وشاركتم بالنفس والمال فيثبت الله به ألسنتكم ويهدي به قلوبكم وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني بكم، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم الله خيراً" ثم سكت.

وذكر بعض المحدثين أن عبداً لما قدم على أبي بكر رضي الله عنه استنهضه في مقاتله ال جفنة فأجابه إلى ذلك فسير سرية وأمره عليها فخرج عبد على السرية حتى وافى ديار ال جفنة ولهذا حديث يطول شرحه وقد تركته.

وقد شهر مقام عبد وعرف مكانه، وكان في السرية حسان بن ثابت الأنصاري فلما قدموا من ديار ال جفنة قام حسان وقال: قد شهر مقام عبد في الجاهلية والإسلام فلم أر رجلاً أحزم ولا أحسن رأياً وتدبيراً من عبد وهو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت صاحبه وأظلم صباحه، فسر ذلك أبا بكر رضي الله عنه وقال هو يا أبا الوليد كما ذكرت والقول يقصر عن وصفه، والوصف يقصر عن فضله، فبلغ ذلك عبداً فبعث إليه بمال عظيم وأرسل إليه أن مالي يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر وأقبل ما تيسر.

ثم إن أبا بكر كتب كتاباً إلى أهل عمان يشكرهم ويثني عليهم وأقر جيفر وأخاه عبداً على ملكهما وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها إليه، وانصرف عنه ومن معه شاكراً لعبد وجيفر من المآثر والمناقب ما يضيق بها

الكتاب وقد أوردنا لمحة من أخبارهم، ولم يزالا في عمان متقدمين إلى أن ماتا وخلفا من بعدهما عباد بن عبد بن الجلندى في زمن عثمان وعلي.

١٢- جيوش الحجاج في عمان :

فلما وقعت الفتنة وافترقت الأمة وصار الملك إلى معاوية لم يكن لمعاوية في عمان سلطان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق وكان ذلك زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندى وهما القيمان في عمان فكان الحجاج يغزوهما بجيوش عظيمة وهما يفضان جموعه ويبددان عساكره في مواطن كثيرة.

وكان كلما أخرج إليهما جيشاً هزماه واستوليا على سواده إلى أن أخرج عليهما القاسم بن شعوة المزني في جمع كثير وخميس جرار فخرج القاسم بجيشه حتى انتهى إلى عمان في سفن كثيرة فأرسى سفنه في ساحل قرية من قرى عمان يقال لها حطاط فسار إليه سليمان بن عباد بالأزد فاقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الهزيمة على أصحاب الحجاج وقتل القاسم وكثير من أصحابه وقواده واستولى سليمان على سوادهم فبلغ ذلك الحجاج فأصابه أمر هائل ثم استدعى بمجاعة بن شعوه أخ القاسم أن يندب الناس ويستصرخهم وينادي في قبائل نزار حيث كانوا ويستعينهم ويستنجدهم، وأظهر الحجاج من نفسه غضباً وحمية وأنفة وكتب إلى عبد الملك بن مروان وأبعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد فوجدت أن العساكر التي جمعها الحجاج وأخرجها إلى عمان كانت أربعين ألفاً، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفاً ومن جانب البر عشرين ألفاً، فانتهى القوم الذين خرجوا من البر فسار إليهم سليمان بسائر فرسان الأزد وكانوا ثلاثة الاف فارس وأصحاب النجائب ثلاثة الاف وخمسمائة فالتقى بهم عند الماء الذي دون البلقعة بخمس مراحل وقيل بثلاث

مراحل وهو الماء الذي بقرب قرية بوشر يقال له اليوم البلقعين فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الحجاج فأمعن سليمان في طلبهم وهو لا يعلم بشيء من عسكر البحر حتى انتهى عسكر البحر بالبونانة من جلفار (١) فلقيهم رجل فأعلمهم بخروج سليمان بسائر العسكر فواصل مجاعة سير الليل بالنهار حتى وصل بركا فنزل إليهم سعيد فقاتلهم قتالاً شديداً حتى حجز بينهم الليل، وتأمل سعيد عسكره فإذا هم في عسكر مجاعة كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وقد قتل منهم من قتل فاعتزل من ليلته وعمد إلى ذرارى أخيه وذراريه فاعتزل بهم إلى الجبل الأكبر وهو جبل بني ريام ويقال له الجبل الأخضر ويقال له رضوان (بضم الراء) ولحقه القوم فلم يزالوا محصورين حتى وافى سليمان وكان مجاعة أرسى سفنه ببندر مسكد (٢) وكانت ثلاثمائة سفينة فمضى إليها سليمان فأحرق منها نيفاً وخمسين سفينة وانفلت الباقون في لجج البحر ثم مضى يريد عسكر مجاعة فتصور مجاعة أن لا طاقة له بسليمان فخرج يريد البحر فالتقى هو وسليمان بقرية سمايل فوقعت بينهم صكة عظيمة فانهزم مجاعة ولحق بسفينة فركبها ومضى إلى جلفار.

وكاتب الحجاج فأخرج له من طريق البر عبد الرحمن بن سليمان في خمسة الاف عنان من بادية الشام وكان فيهم رجل من الأزد ولا يعلمون به أنه من الأزد فهرب في الليل حتى نزل على سليمان وسعيد فأعلمهما بذلك فاستشعرا العجز فحملا ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج حتى ماتا هناك.

ودخل مجاعة وعبد الرحمن بالعسكر إلى عمان ففعلا فيها غير الجميل ونهباها نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) جلفار هي بلدة رأس الخيمة الحالية. أما البونانة فموضع قربها إلا أنه غير معروف على وجه الضبط.

(٢) بندر مسكد هو ميناء مسقط.

١٣- عمال بني أمية في عمان :

ثم أن الحجاج استعمل على أهل عمان الخيار بن سيرة المجاشعي فلما مات عبد الملك تولى من بعده عبد الملك ولما مات الحجاج استعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم فبعث يزيد سيف بن الهاني الهمداني عاملاً على عمان ولما مات الوليد بن عبد الملك وولى أخوه سليمان بن عبد الملك عزل العمال الذين كانوا على عمان واستعمل عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي، ثم أنه رأى أن يكون عمال عمان على ما كانوا عليه فردهم وجعل صالح بن عبد الرحمن مشرفاً عليهم ثم ولى يزيد بن المهلب العراق وخراسان فاستعمل يزيد أخاه زياداً على عمان فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان ابن عبد الملك.

وولى عمر بن عبد العزيز فاستعمل عدي بن أرطأة الفزاري على العراق واستعمل عدي على عمان عمالاً أساءوا السيرة فكتبوا إلى عمر بن عبد العزيز فاستعمل عليهم عمر بن عبدالله بن صبيحة الأنصاري فأحسن السيرة فيهم فلم يزل والياً على عمان مكرماً بين أهلها يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم حتى مات عمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبدالله لزياد بن المهلب: هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها وخرج عمر بن عبدالله من عمان وقام زياد بن المهلب في عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح وصار ملك بني أمية إليه.

١٤- إمامة الجلندى بن مسعود:

وولى السفاح أبا جعفر المنصور على العراق فاستعمل أبو جعفر على عمان جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهناوي وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح ثم عزله وولى ابنه محمد بن جناح فداهن جناح بن عبادة الأباضية حتى صارت ولاية عمان لهم فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندى بن

مسود فكان سبباً لقوة المذهب، وكان عادلاً مرضياً ثم خرج عليه شيبان وكان شيبان يطلبه السفاح فلما قدم عمان أخرج إليه الجلندى هلال بن عطية الخراساني ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين وكان يحيى فضله مشهوراً بين المسلمين فدعا بدعوة أنصف فيها الفريقين فقال: "اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذي ترضاه والحق الذي تحب أن تؤتى به، فاجعلني أول قتيل من أصحابي ثم اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه واجعل الدائرة على أصحابه، وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذي ترضاه والحق الذي تحب أن تؤتى به فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه".

ثم زحف القوم بعضهم إلى بعض فكان أول قتيل يحيى بن نجيح وأول قتيل من أصحاب شيبان شيبان، فلما قتل شيبان وصل إلى عمان خازم بن خزيمة وقال إنا كنا نطلب هؤلاء القوم يعني شيبان وأصحابه وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم ولكني أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة وأخبره أنك له سامع مطيع، فشاور الجلندى المسلمين في ذلك فلم يروا له ذلك. وقيل إنه سأله أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه فأبى الجلندى فوقع القتال بين خازم والجلندى فقال هلال للجلندى ولم يبق إلا هو وهلال بن عطية الخرساني فقال هلال للجلندى أنت إمامي ولك عليّ لا أبقى بعدك، فتقدم فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته وهم لم يعرفوه ثم إنهم عرفوه وقالوا هلال بن عطية فاحتولوه حتى قتلوه رحمه الله(١).

وكانت إمامة الجلندى سنتين وشهراً وقيل إن الذي تولى قتل الجلندى خازم بن خزيمة فبلغني أنه لما حضرته الوفاة قيل له أبشر فقد فتح الله عمان

---

(١) الثقافة هنا اللعب بالسيف وقد قال الشاعر: وكأن لمع بروقها في الجو أسياف المثاقف واحتولوه معناها صاروا حوله.

على يديك، فقال غررتمونا في الحياة وتغروننا عند الوفاة هيهات هيهات فكيف لي بقتل الشيخ العماني.

ووجدت أن رجلاً من أهل عمان خرج إلى الحج وكان في صحبته رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا ينام فسأله العماني عن حاله فقال وهو لا يعرف أن صاحبه من أهل عمان أني خرجت مع خازم بن خزيمة إلى عمان فقاتلنا بها قوماً لم أر مثلهم قط فأنا من ذلك اليوم على هذه الحالة لا يأخذني النوم فقال الرجل العماني في نفسه أنت حقيق بذلك إن كنت ممن قاتلهم.

١٥- أمر عمان بعد الجلندى:

ولما قتل الجلندى وأصحابه رحمهم الله وغفر لهم استولت الجبابرة على عمان فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة وراشد بن شاذان ابن النظر الجلندانيان وفي زمنهما وقع غسان الهنائي الذي هو من بني محارب بنزوى ونهبها وهزم بني نافع منها وبني هميم بعد أن قتل خلقاً كثيراً وذلك في شهر شعبان سنة خمس وأربعين ومائة سنة (١).

ثم إن بني الحارث من أهل إبرا غضبوا لهم وكان في بني الحارث رجل عبدي من بكرة يقال له زياد بن سعيد البكري فاجتمع رأيهم على أن يمضوا إلى العتيك ليقتلوا غسان الهنائي فساروا إليه وجلسوا بين داره ودار جناح بن سعد بموضع يقال له الخور وقد رجع عائداً رجلاً مريضاً من بني هناءة فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم فقتلوه فغضب لذلك منازل بن خنس وكان مسكنه بنبأ وهو عامل لمحمد بن زائدة وراشد بن شاذان الجلندانيين فساروا على أهل إبرا على غفلة منهم فبرز إليهم أهل إبرا فاقتتلوا قتالاً شديداً ووقعت الهزيمة على أهل إبرا فقتل منهم أربعون قتيلاً.

---

(١) الموافقة لسنة ٧٦٣م.

١٦- الإمام محمد بن أبي عفان:

ثم منّ الله على أهل عمان بالألفة على الحق فخرجت عصابة من المسلمين فقاموا بحق الله وأزالوا ملك تلك الجبابرة وذلك أن المشايخ العلماء من أهل عمان اجتمعوا في نزوى وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن أبي جابر الأزكي فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن أبي عفان وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدولة فخاف الشيخ موسى أن لا تكون للمسلمين بدون أن تقع الفتنة، فقال قد ولينا فلاناً قرية كذا وولينا فلاناً قرية كذا حتى فرق تلك الرؤساء وقال وقد ولينا بن أبي عفان نزوى وقرى الجوف وأحسب أنه قال حتى تضع الحرب أوزارها فقال الشيخ أبو المنذر بشير بن المنذر قد كان نرى ما نحب والان قد رأينا ما نكره والحمد لله، فقال موسى إنا فعلنا ما تحب فاعلمه، إنما أراد أن يفرقهم لئلا تقع الفتنة فلما خرج تلك الرؤساء ونظر كل واحد منهم إلى البلدان التي وليها كتب الشيخ بعزلهم وبعث ولاة إلى تلك البلدان، وأحسب أنهم عرفوا بذلك قبل وصولهم إليها وبقي محمد بن أبي عفان في العسكر.

وظهرت منه للمسلمين أحداث لم تعجبهم وبلغني إنما الذي أنكروا عليه جوفته للمسلمين ورده للنصائح والله أعلم، فلم يرضوا سيرته فعملوا له حيلة وأخرجوه من عسكر نزوى فلما خرج اجتمعوا فاختاروا إماماً وعزلوا محمداً وكانت إمامته سنتين وشهراً.

١٧- إمامة الوارث بن كعب:

ثم عقدوا الإمامة للوارث بن كعب الخروصي الشاري اليحمدي الأزدي وذلك سنة سبع وسبعين ومائة (١) فوطأ الوارث أثر السلف الصالح من المسلمين

---

(١) سنة ١٧٧هـ وتوافق سنة ٧٩٣م.

وسار بالحق وأظهر دعوة المسلمين وعز الحق وأهله وأخمد الكفر ودفع الله الجبابرة.

وفي زمنه بعث هارون الرشيد عيسى بن جعفر بن أبي المنصور في ألف فارس وخمسة الاف رجل فكتب داود بن يزيد المهلبي إلى الإمام وارث يخبره أن عيسى وصل بعسكره فأخرج إليه الإمام فارس بن محمد والتقوا بحتى فانهزم عيسى بن جعفر وسار إلى مراكبه بالبحر فسار إليه أبو حميد بن أفلح الحداني السلوتي ومعه عمرو بن عمر(١) في ثلاثة مراكب فأسره عيسى وانطلق به إلى صحار فحبس بها، فشاور فيه الإمام الشيخ علي بن عزرة فقال له إن قتلته وإن تركته فكله واسع لك، فأمسك الإمام عن قتله وتركه في السجن وبلغنا أن قوماً من المسلمين فيهم يحيى بن عبد العزيز رحمه الله انطلقوا من حيث لا يعلم الإمام حتى أتوا صحار فتسوروا السجن وقتلوا عيسى بن جعفر وعزم هارون على إنفاذ جيش إلى عمان فارتاعوا مدة ثم إنه مات قبل ذلك وكفاهم الله شره.

وبلغنا أن يحيى بن عبد العزيز كان من أفضل المسلمين ولعله لم يتقدم عليه أحد من أهل زمانه في الفضل ولعل كانت شهرته بعمان كشهرة عبد العزيز ابن سليمان بحضرموت. وبلغنا أن الشيخ بشير بن المنذر أنه كان يقول قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار.

ولم يزل الوارث إماماً حسن السيرة قائماً بالعدل حتى اختاره الله له ما لديه، وكان سبب موته أنه غرق في سيل وادي كلبوه من نزوى، وغرق معه سبعون رجلاً من أصحابه وسبب ذلك لعله حبس المسلمين عند سوقم مائل، وكان ناس محبوسين فسال الوادي جارفاً فقيل للإمام إن الوادي سيلحق

(١) في الأصل عمر بن عمرو.

المحبوسين فأمر بإطلاقهم فلم يجسر أحد يمضي إليهم خوفاً من الوادي فقال الإمام، " أنا أمضي إليهم إذ هم أمانتي وأنا المسئول عنهم يوم القيامة" فمضى إليهم وأتبعه ناس من أصحابه فمر بهم الوادي فحملهم مع المسجونين.

وقبر الإمام من بعد أن يبس الوادي بين العقر وسعال وقبره معروف ومشهور وكانت إمامته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر إلا أياماً والله اعلم.

١٨- إمامة غسان بن عبدالله:

ثم ولى من بعده غسان بن عبدالله الفجحي اليحمدي الأزدي فوطئ اثار المسلمين وأعز الحق وأهله وأخمد الكفر.

وكانت في زمنه البوارج(١)تقع على عمان وتفسد في سواحلها، فاتخذ غسان الشذاة(٢)لغزوهم وهو أول من أتخذها وغزا فيها فانقطعت البوارج عن عمان.

وفي زمنه قتل الصقر بن محمد بن زائدة وكان ممن قد بايع المسلمين على راشد بن النظر الجلندى وأعانهم بالمال والسلاح، وسبب قتله أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هناءة وغيرهم باغياً على المسلمين فألقى على المسلمين أن أخ صقر مع البغاة، فذكروا ذلك لصقر فقال من يقول هذا وإن أخي معي في الدار مريض، فلما هزم الله البغاة تحقق أن أخا صقر معهم فاتهموه بالمداهنة لما ستر عنهم أمر أخيه، وكان صقر يومئذ بسمايل فبعث إليه الإمام الوالي وكان الوالي يومئذ بسمايل أبا الوضاح فمضى الوالي بالصقر مع الشراة خوفاً من أن يبطشوا به، وبعث الإمام إليه أيضاً سرية أخرى

(١) البوارج مراكب كانت لقراصنة من كفار الهنود.

(٢) ضرب من السفن اتخذها الإمام لحماية سواحل عمان من القرصان الهنود. والإمام غسان هو أول من أتخذ له أسطولاً من أئمة عمان.

وبعث معهم موسى بن علي فالتقوا بنجد السحامات، فبينما هم في مسيرهم إذ اعترض بعض الشراة صقراً فقتلوه فلم تكن لأبي الوضاح ولا لموسى بن علي قدرة على منعهم من قتله وبلغنا أن موسى بن علي خاف على نفسه فلو قال شيئاً لقتلوه معه، ولم يبلغنا عن الإمام غسان إنكاراً على من قتله وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمة العلماء لهذا كان سبب قتل الصقر والله أعلم.

ومن أحكام الإمام الغسان أنه كانت دار لبني الجلندى بسمد نزوى ولعل موضعها اليوم المال(١) المسمى العقودية، وكانت هذه الدار عقوداً على الطريق الجائز وعليها الغرف وكانت تلك العقود مظلمة يقعد فيها الفساق وأهل الريبة فقيل إن امرأة مرت بتلك العقود فتعرض لها رجل من أهل الريبة فبلغ ذلك الإمام غسان فحكم على أهل الدار إما أن يهدموا تلك العقود أو يسرجوا فيها بالليل حتى ينظر المار من فيها من أهل الريبة فقيل أن أهل الدار أخرجوا طريقاً من أموالهم للناس فكان الناس يمرون بها حتى انهدمت الدار فرجع أهل الدار إلى الطريق التي أخرجوها فأدخلوها في دارهم ورجع الناس يمرون في الطريق الأولى، ولهذه العقود آثار ورسوم جدر سهيلى المسجد الجامع من سمد نزوى.

ولم يزل غسان قائماً بالحق والعدل حتى مرض يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة سبع ومائتين(٢)ومات من مرضه هذا وكانت إمامته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام.

١٩- إمامة عبد الملك بن حميد:

ثم تولى من بعده عبد الملك بن حميد من بني سودة بن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء فسار سيرة الحق والعدل واتبع أثر السلف الصالح وصارت

---

(١) المال: بلغة أهل عمان اسم كل أرض غرست نخلاً أو شجراً.

(٢) ويوافق ١٠ نيسان عام ٨٢٣م.

عمان يومئذ خير دار، وقد ولي يوم الأثنين لثماني ليال بقين من شهر شوال سنة ثماني ومائتين(١)، فلم يزل يقيم العدل حتى كبر وضعف.

فكانت تقع الأحداث في عسكره فشاور المسلمون موسى بن علي في عزله فأشار عليهم أن يحضر العسكر ويقوم بالدولة فحضر موسى بن علي العسكر وأقام الدولة ومنع الباطل وشذ عسكر من المسلمين وعبد الملك في بيته فلم يعزلوه ولم يزيلوه حتى مات وهو إمام لهم وكانت ولايته ثماني عشرة سنة(٢).

٢٠- إمامة المهنا بن جيفر:

ثم ولي على المسلمين المهنا بن جيفر الفجحي اليحمدي الأزدي عقد له يوم الجمعة في شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين(٣) فوطأ اثار المسلمين وسار سيرتهم وكان له ضبط وحزم ولا يتكلم أحد في مجلسه ولا يعين خصماً على خصم ولا يقوم أحد من أعوانه مادام قاعداً ولا يدخل أحد من العسكر ممن تجرى عليه النفقة إلا بالسلاح. وكان موالياً على الصدقة رجلاً من بني ظبة من أهل منح يقال له عبدالله بن سليمان، وكان يرسله إلى الماشية فقيل إنه دخل أرض مهرة ووصل إلى رجل منهم يقال وسيم بن جعفر وقد وجبت عليه فريضتان فامتنع أن يعطي إلا فريضة واحدة فقال إن شئت تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم. فسكت عنه ورجع، وكان عنده رجل جمّال فلما وصل إلى عز تأخر عبدالله في عز وكان منزله بها وأرسل الجمّال إلى الإمام فقدم الجمّال على الإمام وهو في مجلسه فلما ارتفع عن مجلسه دعا بالجمّال فسأله عن عبدالله وكيف كان في سفره فأخبره بما كان من

---

(١) ويوافق أول اذار عام ٨٢٤م.

(٢) أي أنه مات عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م.

(٣) يوافق ذلك أخريات شهر نيسان من عام ٨٤٠م.

وسيم فقال الإمام للجمّال لا تخبر أحداً بما أخبرتني واكتم ذلك، وأكد عليه في ذلك. فلما وصل عبدالله ابن سليمان سأله الإمام عن خبر وسيم فأخبره مثل ما أخبره الجمّال فكتب الإمام من وقته إلى والي أدم ووالي جعلان إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهري فاستوثقوا منه وأعلموني، فكتب إليه والي أدم أني قد استوثقت منه وأنه قد حصل، فأنفذ الإمام إليه يحيى اليحمدي المعروف "بأبي المقارش" مع جماعة من أصحاب الخيل، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم في المنايف ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم في قرية عز، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم في قرية منح، فلم تزل الكتائب تتراسل والرماح تحتمله حتى وصلوا به إلى نزوى، فأمر الإمام بحبسه فمكث سنة لا يقدر أحد أن يذكر فيه ولا يسأل عن أمره حتى وصل جماعة من المهرة فاستعانوا على المهنا بوجوه اليحمد فأجابهم إلى إطلاقه وشرط عليهم ثلاث خصال: إما أن يرتحلوا من عمان وإما أن يأذنوا بالحرب وإما أن يحضروا الماشية كل حول إلى عسكر نزوى تشهد على حضورها العدول انه لم يتخلف منها شيء، وتعدل الشهود المعدلون بأدم، فقالوا أما الارتحال فلا يمكننا وأما الحرب فلسنا نحارب الإمام وأما الإبل فنحن نحضرها، فعند ذلك عدل الإمام الشهود فكانوا يحضرون إبلهم في كل سنة تدور، وسمعت من يحكي أن هذه النقصة التي بقرية فرق بنيت في زمن المهنا علامة لبني مهرة ليحضروا إبلهم عندها والله أعلم بصحة ذلك.

وخرج المغيرة بين روشن الجلنداني ومن معه من بني جلندى وغيرهم من أهل الفتنة بغاة على المسلمين فوصلوا إلى توام(١) وكان أبو الوضاح والياً عليها للإمام المهنا فقتلوا أبا الوضاح فلما بلغ ذلك المسلمين وكان أبو مروان رحمه الله والياً على صحار فسار بمن معه ومن قبله من الناس وسار معهم المطار الهندي ومن معه من الهند، فلما وصلوا توام وهزم الله بني الجلندى

(١) توام هي البلاد المعروفة باسم البريمي الان.

وقتل من قتل وهرب من هرب عمد المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش إلى دور بني الجلندى فأحرقوها بالنار، وكان في الدور الدواب مربوطة من البقر وغيرها فبلغنا أن رجلاً من السرية كان يلقي نفسه في الفلج حتى يبتل بدنه وثيابه ثم يمضي في النار يقطع الدواب حبالها فتنجو بأنفسها من النيران فبلغنا أنهم أحرقوا سبعين غرفة أو خمسين، وبلغنا أن نسوة من بني الجلندى خرجن على وجوههن في الصحراء هاربات ومعهن أمة فلبثن بها ما شاء الله فاحتجن إلى الطعام والشراب فانطلقت الأمة إلى القرية في الليل تلتمس لهن طعاماً وشراباً فلما وصلت إلى القرية ليلاً وجدت شيئاً من السويق وسقاء من أسقية اللبن وكسر إناء فعمدت إلى الفلج فحملت في سقائها ماء فبصر بها رجل من السرية وقد توجهت نحو النسوة بالماء والسويق فأدركها الرجل في بعض الطريق فأخذ منها السويق وصبه في الأرض وأخذ الماء فأراقه ثم انصرف عنها، وبلغنا أن أبا مروان لم يأمر بهذا الحرق ولعله قد نهى عنه فلم يقبل قوله وبلغنا أن الإمام بعث رجلين إلى القوم الذين أحرقت منازلهم فدعوهم إلى الإنصاف وأن يعطوهم ما وجب لهم من الحق، وبلغنا أن القوم الذين اجتمعوا مع أبي مروان اثنا عشر ألفاً والله أعلم.

ولم يزل المهنا إماماً حتى مات يوم سادس عشر من ربيع الاخر سنة سبع وثلاثين ومائتين (١) وكانت إمامته عشر سنين واشهراً وأياماً ومات المسلمون عنه راضون وله موالون ومؤازرون إلا أني وجدت في سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان رحمه الله وقد ذكر لنا أن الشيخ محمد بن محبوب وبشير اطلعا على حدث من المهنا تزول به إمامته وأنهما كانا يبران منه سريرة والله أعلم.

---

(١) يوافق ١٦ ربيع الاخر لسنة ٢٣٧هـ يوم ١٧ ت١ لسنة ٨٥١م.

٢١- إمامة الصلت بن مالك:

ثم ولى المسلمون من بعده الصلت بن مالك في اليوم الذي مات فيه المهنا وكان هناك يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين وكان رئيسهم وإمامهم في العلم والدين محمد بن محبوب فبايعوا الصلت بن مالك على ما بويع عليه الأئمة العدل من قبله، فسار بالحق والعدل ما شاء الله حتى فني أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه، لا نعلم أن أحداً فارقه. وعمّر الصلت في الإمامة ما لم يعمر أحد قبله(١) حتى كبر وأسن وضعف وإنما كان ضعفه من قبل الرجلين وأم العقل والسمع والبصر فلا نعلم أن أحداً قال بها ضعف.

فلما بلغ الكتاب أجله وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما أختبر الذين من قبلهم فسار إليه موسى بن موسى ومن اتبعه حتى نزل فرق فتخاذلت الرعية عن الصلت وضعف عن الإمامة واعتزل عن بيت الإمامة.

٢٢- إمامة الراشد بن النظر:

فعقد موسى الإمامة لراشد بن النظر وكان ذلك يوم الخميس وثلاث ليال خلت من شهر الحج سنة ثلاث وسبعين ومائتين(٢) وكانت إمامة الصلت خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية أيام وكانت وفاته ليلة الجمعه للنصف من ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين(٣) وفي أيامه توفي العالم العلامة إمام العلماء محمد بن محبوب رحمه الله.

---

(١) وقد دامت إمامته حوالي ٣٥عاماً، من يوم وفاة المهنا في عام ٢٣٧هـ حتى تولية خلفه الإمام الراشد في عام ٢٧٣هـ وسيأتي القول في ذلك وقد توفي بعد سنتين أو ثلاث من اعتزاله الإمامة.

(٢) ويوافق أول مايس من عام ٨٨٧م.

(٣) ويوافق ٢١ نيسان ٨٨٩م.

ثم وقعت بينهم الفتنة في عمان وكبرت المحنة واختلفوا في دينهم وتفرق رأيهم ووقعت بينهم البراءة وعظمت الإحن واشتدت العداوات وكثرت بتهم السير والأقوال وعظم القيل والقال واشتد بينهم القتال ثم إن موسى برئ من راشد وفسقه وضلله وسار عليه وعزله.

٢٣- إمامة عزان الخروصي:

ثم ولي عزان بن تميم الخروصي يوم الثلاثاء لثلاث ليال خلون من شهر صفر سنة سبع وسبعين ومائتين(١) وممن حضر البيعة عمر بن محمد القاضي ومحمد بن موسى بن علي وعزان بن الهزيم وأزهر بن محمد بن سليمان.

فلبث موسى وعزان وليين لبعضهما بعض ما شاء الله من الزمان حتى وقعت بينهم الإحن فعزل عزان موسى عن القضاء وتخوف عزان من موسى فعاجله بجيش أطلق فيه كافة المسجونين فساروا إلى أزكي فدخلوا حجرة النزار ووضعوا على أهل أزكي يقتلون ويأسرون ويلبسون وينهبون وأضرموا فيها النيران فحرقوا ناساً وهم أحياء وقتل موسى مع حصيات الردة التي عند مسجد الحجر من محلة الجبور وفعلوا في أهل أزكي ما لم يفعله أحد فيما سمعنا، فاشتدت الفتن، وعظمت الضغائن والإحن، وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر، واوى عزان المحدثين من أصحابه وأجرى عليهم النفقات وطرح نفقة من تخلف عن المسير إلى أزكي وكانت الوقعة يوم الأحد لليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين(٢).

فمن أجل هذه الوقعة خرج الفضل بن الحواري القرشي النزاري ثائراً بمن قتل من أهل أزكي وطابقته على ذلك المضرية والحدان وناس من بني الحارث

---

(١) وتوافق ٢٧ مايس عام ٨٩٠م.

(٢) توافق عام ٢٧٨هـ العام ٨٩١ ميلادي.

من أهل الباطنة ولحق به عبدالله الحداني بجبال الحدان وخرج الفضل إلى توام وهي الجو (١) ثم رجع إلى الحدان وخرج معه الحواري بن عبدالله السلوتي ومضوا إلى صحار وذلك يوم سادس عشر من شوال من هذه السنة المذكورة ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر وذلك يوم الجمعة، وحضرت صلاة الجمعة فصلى بالناس زيد بن سليمان وخطب الناس ودعا للحواري بن عبدالله السلوتي على المنبر وأقاموا فيها بقية الجمعة ويوم السبت وخرجوا عشية الأحد لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائي ومن معه من أصحاب عزان بن تميم الذي لما سمع بخروجهم وجه إليهم الأهيف بن حمحام رئيس بني هناءة في جماعة من اليحمد وفيهم فهم بن وارث فساروا حتى بلغوا "مجز" من الباطنة وأرسلوا إلى الصلت بن نظر فخرج إليهم في جماعة من الخيل والرجال ووصل إليهم الفضل بن الحواري والحواري بن عبدالله فأسرعوا فيهم القتل فقتل من المضرية يومئذ خلق كثير ووقعت الهزيمة عليهم وكانت هذه الوقعة يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال من هذه السنة المذكورة(٢).

وقال أحمد بن جميل الهناوي شعراً:

يا لك بالقاع من صباح	قاع خيام إلى البطاح
أنعلت الخيل هام عوف	من بين طاها إلى وقاح
وخضنا من منبة دماء	كزاجر اليم ذي الطماح
خيل ابن نصر فتى المعالي	والقوم من مالك الصباح
واليحمد المانعي حماها	ومدركي الوتر بالسفاح
لما أتانا بأن عوفاً	تدعو بجهل إلى النطاح

(١) وتدعى اليوم "البريمي".

(٢) شهر ك ١ عام ٨٩٢م.

سرنـــا إليهـــم بمقـربـــات   فـي ظـل غـاب مـن الرمـــاح
تقـدمنـا الأسـد مـن هنـاة   في جحفـل شاهـري السـلاح
فكـم كعـاب هنـاك تـدعـو   بـالويـل أبـاهـا رداح (١)

في قصيدة طويلة تركتها.

٢٤- جيوش الخلافة العباسية في عمان:

ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان وتزيد بينهم الإحن، وصار أمر الإمامة معهم لعباً ولهواً وبغياً وهوى، لم يقتفوا كتاب الله ولا اثار السلف الصالح من ابائهم وأجدادهم، حتى إنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة ولم يفوا بواحدة منها، حتى بلغ الكتاب أجله فخرج محمد بن أبي القاسم وبشير بن المنذر من بني سامة بن لؤي بن غالب وقصدا إلى البحرين وكان بها يومئذ محمد بن نور(٢) عاملا للمعتضد فلما قدما عليه شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحميرية وسألاه الخروج معهما إلى عمان وأطمعاه في أشياء كثيرة فأجابهما إلى ذلك وأشار عليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد ويذكرا له أمرهما وأنهما قدما يريدان نصرته فسار محمد بن أبي القاسم إلى بغداد وقعد بشير مع محمد نور.

فلما قدم محمد إلى الخليفة ذكر له الأمر واستخرج منه لمحمد بن نور عهداً على عمان ورجع إلى البحرين فلما قدم على محمد بن نور أخذ محمد بن نور في جمع العساكر من سائر القبائل وخاصة نزار وجعل معه ناساً من الشام من طي، وخرج يريد عمان في خمسة وعشرين ألفاً ومعه من الفرسان ثلاثة الاف وخمسمائة فارس عليهم الدروع والجواشن وعندهم الأمتعة.

---

(١) القصيدة في الأصل تختلف في بعض أبياتها.

(٢) بعض كتب التاريخ تسميه محمد بن نور أو ابن نور في اختلاف باللفظ. أنظر في ذلك الطبري وابن الأثير وابن خلدون.

وفي ذلك يقول كتاب محمد بن نور:

أمـن مبلـغ عنـا عمـان وأهلهـا ... مقـالا تلقـاه حكيـم مجـرب
بصير بأسبـاب التصـرف قـلبـه ... يظن بك الظن الذي ليس يكـذب
يرى في وجوه القوم ما في قلوبهم ... ويعرف ما قالوا وهم عنـه غيـب
ألا فكلـوا يا قـوم من طيبـاتكـم ... ومن عذب المـاء المبـرد فاشربـوا
واقضـوا لبنـات النفـوس فـإنـي ... أرى نـعمـة أسبـابـهـا تتقضـب
كأني بأهل الديـن قد ندبـوا لكـم ... فوارس ما زالت لدى الرحل تطلـب
فـوارس مـن أبنـاء عدنـان كلهـا ... لملـك العبـاس ترضـى وتغضـب

ثم اتصل خبره بعمان فاضطربت عمان ووقع بين أهلها الخلف والعصبية وتفرقت اراؤهم وتشتتت قلوبهم، فمنهم من خرج من عمان بأهله وماله، ومنهم من أسلم نفسه للهوان من قلة احتياله، فخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي ومن تبعه إلى هرموز، وخرج أهل صحار بأموالهم وأهليهم إلى شيراز والبصرة وقدم محمد بن نور بجنوده وعساكره وافتتح جلفار ووصل إلى توام يـوم الأربعـاء لسـت ليـال خلـون مـن شـهر المحـرم سـنة ثمـانين ومائتين(١) واستولى على السر ونواحيها وقصد نزوى وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم فخرج من نزوى إلى سمد الشان ووصل محمد بن نور إلى نزوى وسلمت له نزوى ثم مضى قاصداً إلى سمد الشان فلحق عزان بن تميم فوقع بينهم الحرب والقتال واشتد الطعن والنزال وذلك يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من صفر من هذه السنة فكانت الهزيمة على أهل عمان وقتل عزان بن تميم وخرجت عمان من يد اهلها ولم يغير الله ما بهم بل غيروا ما بأنفسهم، وكان قتالهم وحربهم بينهم طلباً للملك ورغبة في الرياسة وكل منهم يود أن يكون الملك بيده أو بيد من مال إليه بوده، فسلط الله عليهم من هو للملك أطلب

(١) يوافق اليوم ٦ من شهر محرم من عام ٢٨٠هـ اخريات شهر اذار من عام ٨٩٣م.

منهم، أفسدوا دينهم فنزع الله عنهم دولتهم وسلط عليهم عدوهم، وكانت دولة الأباضية مذ ملكوها إلى أن خرجت من أيديهم مائة سنة وثلاث وستين سنة إلا شهراً وأثني عشر يوماً والله أعلم.

٢٥- أحوال عمان في عهد محمد بن نور:

وبعث محمد بن نور برأس عزان بن تميم إلى الخليفة ببغداد، ورجع محمد ابن نور إلى نزوى وأقام بها.

ثم إن الأهيف بن حمحام الهنائي كاتب مشايخ عمان وقبائلها من كل مكان يدعوهم إلي محاربة محمد بن نور وإخراجه من عمان ويحثهم على ذلك، فأجابوه وأقبلوا إليه، فسار بعسكر ضخم وخميس جرار يريد محمد بن نور فبلغ ذلك محمد بن نور فدخل الرعب إلى قلبه، فخرج هارباً فأتبعه الأهيف بعساكره، وكان الرأي الصائب أن لا يلحقوه بل يسيرون خلفه رويداً رويداً حتى يخرج من عمان فيرجعوا عنه، لكن لله إرادة ليقضي أمراً كان مفعولا، فأسروا سريعاً حتى لحقوه بدما، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتل والجراح في الفريقين وقد كادت تكون الهزيمة على محمد بن نور وقد ألجأوه على سيف البحر، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمة وغيرهم من المضرية على كل جمل رجلان من قبل أبي عبيدة بن محمد السامي مدداً لمحمد بن نور. فلما كانوا قريباً من العسكرين نزلوا عن رواحلهم وأخذوا أسلحتهم وحملوا مع محمد بن نور على الأهيف وأصحابه عند إعياء الناس، وبعدها كادت تكون الهزيمة على محمد بن نور، فوقعت الهزيمة على أهل عمان وقتل الأهيف بن حمحام وخلق كثير من عشيرته وغيرهم، ولم يسلم من أهل عمان إلا من تأخر أجله.

ورجع محمد بن نور إلى نزوى واستولى على كافة عمان وفرق أهلها وعاث في البلاد وأهلك الحرث والأولاد.

وقال محمد بن دريد:

لا يفـوت المـوت منحـــدراً	أبقـــاه الغـــاب والغيـــل
مقـــرع الأكتـــاف ذو لبـــد	مبــرص الأوصـــال مجـدول
إن دهـــراً فـــل حـدهـــم	حـــده لا بـــد مفلـــول
مـا بكاهــم إن هـــم قتلـــوا	صبرهــم للقتـــل تفضيـــل
إنمــا أخبــر الحـــرب بــأن	قــد نــالهــم قــوم أراذيـــل
فـالسهــم مـن لا يحـصلـــه	فــي كــرم القــوم تحصيـــل
أعبـد قـــن تـصـــادرهـــم	قـــوم أســـود تبـــابيـــل
فــــروا للهـــرب طــــرده	طـــرداً مـــا فيـــه تمهيـــل
بمشيـــخ ثـــالـــط ودم...	أخلصـــت منــه الســراويـــل
قيـــل والمقـــدار يحرســـه	فنجـــا والســـرج مبلـــول

فلما انهزم أهل عمان رجع محمد بن نور وجعل أعزة أهلها أذلة وقطع الأيدي والأرجل والاذان، وسمل الأعين، وجعل على أهلها النكال والهوان، ودفن الأنهار وأحرق الكتب وذهبت عمان من أيدي أهلها.

ثم إنه أراد الرجوع إلى البحرين فجعل عاملاً على عمان رجلاً يقال له أحمد ابن هلال ورجع هو إلى البحرين وجعل أحمد عمالاً على سائر عمان وكانت إقامته ببهلاء وجعل على نزوى عاملاً رجلاً يقال له بيحرة ويكنى أبا أحمد، فقيل له ذات يوم إن أبا الحواري ومن معه من الأصحاب يبرءون من موسى بن موسى فأرسل إلى أبي الحواري ومن معه من الأصحاب جندياً فوصل الجندي وهو قاعد على محراب مسجد بن سعيد المعروف بأبي القسام وهو مسجد الشجي بعد صلاة الفجر يقرأ القران فقال إن أبا أحمد يقول لك سر إليه فقال

أبو الحواري ليس لي به حاجة وأخذ في القراءة فبقى الجندي متحيراً لا يدري كيف يفعل به حتى جاءه رسول بيحرة فقال له لا تحدث في أبي الحواري حدثاً فرجع ولم يحدث في أبي الحواري حدثاً وذلك ببركة القران العظيم.

وبلغني أن الجندي قال إنما دعوته ليقوم لئلا يطش دمه في المحراب ولم يزل بيحرة عاملاً على نزوى حتى قتلوه وسحبوه وقبره معروف عندهم أسفل من باب مؤثر قليلاً في لجية هنالك على الطريق الجائز التي تمر إلى فرق يطرحون عليه السماد والجذوع والله اعلم.

٢٦- الأئمة المنصوبون في هذه الفترة:

ثم إنهم(١) بايعوا محمد بن الحسن على الشراء ثم اعتزل ثم بايعوا الصلت بن القاسم الخروصي ثم عزلوه، ثم بايعوا عزان بن هزبرة ثم عزلوه.

ثم عقدوا لعبدالله بن محمد الحداني المعروف بأبي سعيد القرمطي ثم عزلوه ثم عقدوا للصلت بن القاسم ثانية ومات في الإمامة.

ثم بايعوا الحسن بن سعيد السحتني فلبث أقل من شهر ومات، ثم عقدوا للحواري بن مطرف الحداني على المدافعة فكان اخذاً على أيدي الفساق والسفهاء من أهل عمان أخذاً شديداً، إلا أنه كان إذا جاء السلطان من عمان يجبى أهلها اعتزل عن بيت الإمامة إلى بيت نفسه ولم يمنعه من الظلم والبغي، فإذا خرج السلطان رجع هو إلى بيت الإمامة ووضع تاج الإمامة على رأسه وقال لمن حوله لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله، وكان قائماً له بالأمر عند السلطان ناس من بني سامة إلى أن مات، وهذا السلطان هو سلطان بغداد والله أعلم(٢).

---

(١) أهل عمان.

(٢) وهذا يدل على أن عمان أو قسماً منها كان تحت حكم سلطان بغداد.

ثم عقدوا لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف فكان على نحو سبيل عمه إذا جاء السلطان اعتزل من بيت الإمامة وإذا رجع السلطان رجع إلى بيت الإمامة.

ثم جاءت القرامطة إلى عمان فاعتزل عن بيت الإمامة ورجعت القرامطة إلى البحرين فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة وكانت القرامطة قد تغلبت على سائر البلدان ومكة والشام وسائر القبائل وهم بنو أبي سعيد الحسن بن بهرام بن بهرست الحياني وقد أبطل الصلاة والصوم والحج والزكاة وزخرف عليهم وموه على الضعفاء حتى إنهم يتأهلونه من دون الله تعالى.

وكان سبب زوال ملكه على يد عبدالله بن علي وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل وكانوا في عساكر جمة وجنود كثيرة فلبث في محاربتهم سبع سنين حتى انتزع الدولة منهم وفي ذلك يقول جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرب:

سل القرامط من شظى جماجمهم	فلقا وغادرهم بعد العلي خدما
من بعد أن جل بالبحرين شانهم	وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها	أرض العراق وتغشى تارة أدما(١)
وحرقوا عبد قيس في منازلهم	وصيروا الغر من سادتها خدما
وأبطوا الصلوات الخمس وانتهكوا	شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفه	بل كان ما أدركوه قائماً هدما
حتى حمينا على الإسلام وانتدبت	منا فوارس تجلو الكرب والظلما
وطالبتنا بنو الأعمام عادتنا	فلم تجد بكماً فينا ولا صمما
وقلدوا الأمر منا ماجداً نجدا	يشفي ويكفي إذا ما حادث دهما
ماضي العزيمة ميمون نقيبته	بلى نزاراً إلى غاياتها همما
وسار يتبعه غر غطارفة	لو زاحمت سد ذي القرنين لانثلما

---

(١) أدم مدينة بداخلية عمان بالقرب من نزوى.

من قصيدة له طويلة.

ثم كانت في عمان سنون فترة من عقد الإمامة حتى عقدوا الإمامة لمحمد ابن يزيد الكندي النازل بسمد الكندي، يايعوه على الدفاع واعتل عليهم عند بيعة الشراء بأن عليه ديوناً، ثم انقلب السلطان على عمان فحاصروه بعسكرين عسكر بالسر وعسكر بالعتيك ثم هرب محمد بن يزيد الكندي من عمان فعقدوا الإمامة للحكم بن الملا البحري النازل بسعال فلا نعلم أن إماماً من أهل القبلة مسلماً ولا مجرماً كان في الضعف والوهنة كمثل الحكم بن الملا ثم إنه اعتزل عن الإمامة وأقام السلطان عسكراً بنزوى والله أعلم.

وفيما أظن أن هؤلاء الأئمة المذكورين من بعد الصلت بن مالك لم تدن لهم جميع عمان ولم يجر سلطانهم فيها وإنما كانوا في بعض من البلدان دون بعض وعلى أحد من القبائل دون أحد ولم تأتلف كلمة أهل عمان ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التي وقعت بينهم وذلك بما بدلوا نعمة الله عليهم فتشتتت قلوبهم.

الفصل الثالث

في ذكر الإمامين سعيد بن عبدالله وراشد بن الوليد ومن بعدهما من الأئمة*

٢٧- الإمام سعيد بن عبدالله:

من الأئمة المنصوبين بعمان بعدما اختلفت كلمتهم أبو القاسم سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة وسيف بن هبيرة كان فارساً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أعلم له تاريخاً متى وقعت له العقدة ولا كم أقام في الإمامة، ولا علمت من قتله وسبب قتله وقد طالعت في ذلك الكتب الكثيرة وسألت أهل الخبرة فلم أقف على علم ذلك وأنا إن شاء الله طالب علم ذلك وبالله التوفيق.

ووجدت أن أول من عقد الإمامة لسعيد بن عبدالله هو أبو محمد الحواري ابن عثمان ثم أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، ثم أحسب محمد بن زائدة السمولي ووجدت أنها وقعت بيعته على الدفاع لا على الشراء.

وكان أبو محمد عبدالله بن محمد يثنى عليه في العلم بما لا يبلغ إلى صفة ذلك، وقد بلغنا عن أبي عبدالله محمد بن روح رحمه الله أنه قال: "كان الإمام سعيد بن عبدالله أعلم الجماعة العاقدين له والذين كانوا معه وقد تظاهرت الأمور معنا من أهل الدار ممن ينتحل نحلة أهل الحق على الإجماع على ولايته وهو ولينا وإمامنا ومضى رحمه الله ولم نعلم أن أحداً تكلم في عقد إمامته بعيب ولا في سيرته ولا ترك ولايته".

(*) وهو الباب الخامس والثلاثون من كتاب كشف الغمة.

وقد عرفنا عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر رحمه الله أنه قال: "لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبدالله لأنه كان إمام عدل وعالماً وقتل شهيداً فجمع ذلك كله رحمه الله وغفر له إلا أن يكون الجلندى بن مسعود فإنه لعله مثله أو يلحق به". فالله أعلم أن قال الجلندى أفضل منه أو أنه مثله أو يلحق به.

أما الذي عرفنا عن الشيخ أبي إبراهيم محمد بن سعيد ابن أبي بكر رحمه الله أنه قال: "إن الإمام سعيد بن عبدالله أفضل من الإمام الجلندى بن مسعود وما أحقه بذلك لأنه كان إماماً عدلا صحيح الإمامة من أهل الاستقامة عالماً في زمانه يفوق أهل عصره وأوانه ومع ذلك قتل شهيداً في ظاهر أمره رحمه الله وغفر له وجزاه عنا وعن الإسلام أفضل ما جزى إماماً عن رعيته"، وقال الشيخ أبو سعيد رحمه الله وغفر له: " لا نعلم من أمر هذه الحلة من أهل الدار إجماعاً على أحد الأئمة المنصوبين من أئمة المسلمين من بعد عبدالملك بن حميد إلى يومنا هذا - يعني في أيامه رحمه الله - إلا أننا نرجوا أنهم مجتمعون على ولاية الإمام أبي القاسم سعيد بن عبدالله رحمه الله" فهذا ما وجدنا في فضله وشهرته.

ووجدت تاريخاً للوقعة التي قتل فيها الإمام سعيد بن عبدالله رحمه الله سنة ثماني وعشرين بعد ثلاثمائة سنة (١) والله أعلم، ووقعت على كتاب مسطور أن سبب هذه الوقعة، كانت امرأة من أهل الغشب من الرستاق مروحة حباً على الشمس فجاءت شاة فأكلت من الحب فرمتها بحجر فكسرت يدها فجاءت صاحبة الشاة فجعلت تضرب المرأة التي رمت الشاة فاستغاثت بجماعتها فجاء أحد من جماعتها وجاء أحد من جماعة الأخرى فكان كل فريق يهيب بفريقه ووقعت بينهم صكة عظيمة فجاء الإمام سعيد بن عبدالله ومعه أحد من

---

(١) وتوافق سنة ٣٢٨هـ، ميلادية ٩٣٩.

عسكره على معنى الحاجزين بين الفريقين فقتل في تلك المعركة والله أعلم بصحة ذلك.

٢٨- الإمام راشد بن الوليد:

ثم ولي من بعده الإمام راشد بن الوليد، وذلك أنه اجتمع الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر وأبو مسعود النعمان بن عبد الحميد وأبو محمد عبدالله بن محمد ابن صالح وأبو المنذر بن أبي محمد بن روح وكان هؤلاء في تلك الجماعة التي حضرت ذلك الوقت هم المنظور إليهم والمشار عليهم كنحو ما كانت الجماعة التي حضرت البيعة للإمام سعيد بن عبدالله في زمانهم وأيامهم، لا ينكر أهل المعرفة فضلهم ولا يجهلون عدلهم ولا يجدون في حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم، ولكل زمان رجال ولكل مقام مقال، وكل أهل "طرف" في زمن من الأزمنة مؤتمنون على جميع دينهم، بذلك جاء الأثر، فالحجة لمن حضر قائمة على من غاب أو شهد وليس للشاهد أن يغيره ولا غائب أن ينكره ولا للداخل أن يخرج ولا للقابل أن يرجع، وقد كانت تلك الجماعة قد عرفوا من بعضهم لبعض وعلى بعضهم لبعض تفاهماً وتفانياً في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر فلما عزموا على عقد الإمامة لراشد بن الوليد تداعوا على الاجتماع على سبب يعرفونه من الموافقة في أمر موسى بن موسى وراشد بن النظر فاجتمع من شاء الله من أهل الحلة والدعوة وكان في الجماعة في ذلك من ذكرنا أنه حضر العقدة لراشد بن الوليد إلا أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد فإنه لم يحضر ذلك، فاجتمعوا في بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد بنزوى وكان المقدم فيهم أبو محمد عبدالله بن أبي المؤثر، فاجتمعوا جميعاً على الواقف عن موسى بن موسى وراشد بن النظر والمتبرئ منهما جميعاً وأنهما جميعاً مؤتمنان على دينهما ذلك ولم نعلم من أحد منهم أنه برئ بغير حق، وجرت الأمور بينهم على هذا النحو إلا ما زاد من لفظ أو نقص لأن

المعنى هو هذا واجتمعوا على ذلك في الولاية ثم بايعوا الإمام راشد ابن الوليد إماماً على طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الجهاد في سبيل الله على سبيل الدفاع وعلى إتباع سبيل أئمة العدل قبله قسطاً وعدلاً وعلى هذا بايعه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر في المنزل الذي كان ينزل فيه من نزوى، ثم بايعه بعده أبو مسعود على نحو ما بايعه أبو محمد وبايعت الجماعة على النحو من ذلك وقبل منهم البيعة وخرجوا إلى الناس بالبطحاء من نزوى في جماعة من أهل عمان من نزوى ومن سائر القرى من شرق عمان وغربها من أهل العفاف منهم والفضل والجاه والرياسة مستمعون لذلك مطيعون لا يظهر لأحد منهم كراهية ولا تكبر، ثم قام أبو محمد عبدالله بن محمد بن شيخه خطيباً على رأسه بين الجماعة فخطب له بالإمامة وأخبر الناس وأمرهم بالبيع له فبايع الناس له شاهراً ظاهراً لا ينكر ذلك من الناس منكر ولا يغير ذلك منهم مغير ودخل الناس في بيعته أفواجاً ووفدت إليه على ذلك الوفود وأخذوا عليهم المواثيق والعهود، وبعث الولاة والعمال في القرى والبلدان، وصلى بنزوى الجمعات وقبض هو وعماله الصدقات وجهز الجيوش وعقد الرايات، وأنفذ الأحكام وجرت له فيما شاء الله من المصر الأقسام، ولم يبق بلد من بلدان عمان لم يغلب عليها السلطان في تلك الأيام وذلك الزمان إلا جرت فيه أحكامه وثبتت عليهم أقسامه وأقر في ظاهر الأمر أنه إمامه، من غير أن يظهر منه شيء من سيرته لاعلانيته ولا سريرته شدة ولا غلظة يخاف بها ويتقي، ولا هواد ولا ميل يطمع فيه بذلك ويرتجى، فيصانع عن تقيه أو يخدع لطمع أو رجيه، بل كان رحمه الله لرعيته هيناً رفيقاً بارائهم شفيقاً غضيضاً عن عوراتهم، مقيلاً لعثراتهم، بعيد الغضب عن مسيئتهم، قريب الرضا عن محسنهم، مساوياً في الحق بين شريفهم ودنيئهم وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم وعشيرهم، منزلاً لهم منازلهم متفقداً لأمورهم وأحوالهم، مشاوراً منهم لمن هو دونه، قابلاً من مشاورتهم ما يأمرونه، فلم يزل

رحمه الله على ذلك يتجشم من رعيته الصبر على الكروب، ومفارقة السرور والمحبوب، ويصبر منهم على الشتم والأذى ويسمع منهم الخنا والقذى، وهو يتأنى في تلك الأمور ويرجو من الله الدائرة أن تدور، وكثير من أهل مملكته ومصره يتربص به الدوائر ويسر له أقبح السرائر، يعرف ذلك في وجوه الذين كفروا المنكر وما يخفي صدورهم من الغل والحسد أعظم وأكبر، قد استحوذ عليهم الشيطان وغلبت عليهم العداوة والشنان، ومنهم من يتربص به الدائرة وأظهر له المودة في الأمور الظاهرة فإن فتح الله عليه فتحاً أظهر السرور والبشرى، وإن كان للعدو نصيب ظهرت منه أمور قبيحة أخرى، لا يقدر من عدوانه أن يعين على طاعة لسانه ولا بجاهه ومكانه، لو يرجو منه الخذلان لخذل، ولو كان به طاقة على قتال أهل الحق لقاتلوهم، ومنهم من يعين بلسانه في الظاهر ويخذل في السرائر، حتى الت الأمور وجرى عليه من الله المقدور، أن ظهر من عامة رعيته التخلف عنه والخذلان، وظهر من عامة خواصة المعاندة له والعصيان، والمداهنة عليه للسلطان والمباشرة له بذلك بالقول وباللسان، وخرجوا إلى السلطان مظاهرين وتألبوا إلى ذلك متناظرين متناصرين فمنعهم عن ذلك التخلف جبراً وقسراً فوقع بينه وبين عامتهم العداوة والشحناء وفارقوه على ذلك من قرية بهلا متعصبين معاندين له على ذلك، ومحاربين متوجدين عليه في ذلك متعنتين، وقد سار السلطان بالسر مقبلاً وهو في نفر من الضعاف أقلاء قد انفضت جماعتهم وصحت معه عداوتهم، وإنما خرج من نزوى في ردهم عن خروجهم ذلك في حرب العدو المقبل إليه، فلما رأى ما نزل به من الخذلان وما بان له من العداوة والعصيان، استضعف نفسه ومن معه عن لقاء السلطان وخاف أن يدهموه على المكان فتحير بمن معه من بهلا إلى كدم، ورجا أنه قد استوثق لنفسه في ذلك وحزم، فلم يزل في كدم حتى صح معه أنهم قد دخلوا الجوف فداخله ومن معه من الضعفاء لقلتهم الجوف، فانحازوا هنالك إلى وادي النخر، ودعا إلى حرب السلطان من حضر، واستنصر عليه من قدر عليه

ونصر، واجتهد في ذلك وصبر، ودعا إلى ذلك واستبصر، وراح في ذلك وبكر، وأقبل في ذلك وأدبر، فأمده الله بمن أمده فأيدهم طاقته وجهده، فجيّش إليهم أنصاره وأعوانه إلا من لا غناية له عنه من خاصته وإخوانه، وقعد لهم في مكانه، وكان السلطان وأعوانه بنزوى نازلين، وكان تخلفه عن الحرب برأي من بحضرته من إخوانه وأهل ثقته، ورجا أن يكون في تخلفه عز للإسلام وأهله وقوة لنصره وعدله وكان تخلفه عن الجيش الذي بعثه إلى السلطان الجائر بنزوى قريباً من المحاره إلى عقبة منح ولم يكن عنهم ببعيد، فأتى الله بالمقدور وما قد علم الله أن تصير إليه تلك الأمور، فهزم أنصاره وغلبوا، وولوا عنه وأدبروا مع ذلك وهربوا، فانفضت هنالك جماعتهم وزالت رايتهم وخرج مخذولاً مغلوباً خائفاً يترقب مطلوباً، وكان ذلك ضحوة النهار، فلم يكن عشياً من يومه ذلك حتى انفض عنه جميع من كان معه ووقعت الغلبة والبأس وايس مع ذلك من نصر الناس فاستولى السلطان الجائر على جميع عمان من جميع النواحي والبلدان، وأقبل الناس في المصانعات، وأقبل إليهم السلطان الحائر بالسخر والمداهنات حتى دانت لهم جميع النواحي، والإمام خائف في رؤوس الجبال والمسافي، مشفق من السلطان والرعية يترقب في كل موضع نزول المنية، وأن يدهمه في مرقده ومنامه ببلية، وأصبح خائفاً على نفسه وماله هارباً من داره وعياله، وأصبح جميع من في الحصن قد امنوا واطمئنوا في منازلهم وكنوا، وصانعوا سلطانهم وداهنوا، فلم يكن له من الاستسلام بد إذا لم يكن له إلى غيره سبيل ولا جهد، فطالع في أمره واستشار واستشير له ذوو الأبصار واتبع في أمره فيما ظهر حكم الأبرار، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار أو مما لا نعلم أن فيه اختلافاً أن "الإمام المدافع تسعه التقية إذا خذلته الرعية" ولم يكن معنا أصح من ذلك الخذلان ولا أبين من تلك العداوة وذلك العصيان، والله هو الرؤوف بعباده المنان، وما جعل الله على عباده في الدين من حرج، بل الصحيح معناه أنه قد جعل لكل مدخل من دينه باب مخرج، ولكل عاجز عن فرض من

فرائضه عذراً وباب فرج، ولا فرق بين الإمام والرعية، وكل منهم جار عليه حكم القضية، فألقى بنفسه إلى منزله واستسلم، رجاء أن يستتر عليه وأن يسلم، فوصل إليه رسول السلطان إلى مكانه يعطيه من الميثاق بأمانة، فبلغنا أنه أعطاه ذلك بلسانه ولم يبلغنا أنه عرضه ليمين، ولا كان إلى باب السلطان من الوافدين، ولا من القادمين إليه والواصلين، وإنما السلطان الذي وصل إليه واضطره إلى ذلك وجبره عليه فزالت معنا بذلك إمامته وانتفت للعذر الواضح عنه ولايته، ولا نعلم في الأحكام ولا فيما اختلف فيه من أمر الإمام أن راشد بن الوليد رحمه الله يلحقه القائل في إمامته مقال، ولا طعن ولا عيب في حال من الحال. فلبث بعد ذلك قليلاً محموداً، ومات عن قريب من ذلك مفقوداً.

وكان راشد بن الوليد في أيامه وزمانه، وموضعه ومكانه، ومع أنصاره وأعوانه والعاقدين له من أصحابه وإخوانه، في عامة أموره غريباً معدوماً، ولم يكن عند احد من أهل الخبرة في أموره ملوماً ولا مذموماً، فجزاه الله عن الإسلام وأهله لما قد قام فيه من حقه وعدله، وعنا وعن جميع من عرف فضله أفضل ما جزى إماماً عن رعيته، وأخاً بصحيح إخوته، وإنما ذكرنا من أمور راشد بن الوليد ما قد ظهر، ونرجوا أنه لن يرفع ولن ينكر وإلا ففضائله كانت معنا أكثر من هذا وأكبر.

وكان أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر قد قتل في وقعة الغشب من الرستاق، في سيرة الإمام راشد بن الوليد وطاعته.

وكان زوال أمر راشد بن الوليد في وقعة نزوى وفيها زالت رايته وانفضت جماعته وبان خذلان رعيته له ولزمته التقية، وخاف هنالك على نفسه من السلطان والرعية أن يقصدوه بالقتل رضاً للسلطان، ولم ير مستقراً في موضع من عمان من حد جلفار إلى حد عوان ولا في جبال عطالة ولا في أرض الحدان، والرستاق فأدهي عليه وأمر، وأعدى عليه من كل عدو وأشر، والله

تبارك وتعالى أولى بالعذر من البشر، وكل من عذره الله في دينه فواجب أن يعذر، وأن يعان في ذات الله فيما قد نزل به وينصر.

وكان راشد بن الوليد رحمه الله فيما ظهر إلينا من أمره ظاهر الإيمان، عليه شواهد الفضل والإحسان، ناهياً عن الشر والبهتان، صادق الفعال واللسان، ورعاً عن المحارم مجتنباً عن المآثم، عاملاً بما علم سائلاً عما نزل به ولزم، متواضعاً لمن هو فوقه، متعطفاً على من هو دونه، كاظماً للغيظ بعيد الغضب سريع الرضا محتملاً للأمة حريصاً على إصلاح المسلمين رءوفاً رحيماً بالمؤمنين، متوشحاً بكريم الأخلاق، صبوراً عند مضايق الخناق، مستقيماً على الحقيقة قاصداً قصد الطريقة، تضرب به الأمثال ويعجز الواصفون عن وصفه بالمقال، فرحم الله تلك المهجة وتلك الأوصال، وتفضل علينا وعليه بالمن عنه والأفضال وأجمعنا وإياه على جزيل من ثوابه وكرامته، وفعل ذلك لكل مؤمن ومؤمنة من عباده إنه أرحم الراحمين(١).

٢٩- ذكر الأئمة المعقود لهم في عمان:

ومن الأئمة المعقود لهم بعمان الخليل بن شاذان(٢) ولعله كانت دولته في بضع وأربعمائة سنة، ثم من بعده راشد بن سعيد ومات في شهر محرم سنة خمس وأربعين وأربع مائة(٣)، ثم من بعده حفص بن راشد بن سعيد، ثم من

---

(١) يبدو أن هذه القطعة عن الإمام راشد بن الوليد قد نقلها المؤلف عن غيره لمظهور اختلاف بين أسلوبها عن أسلوبه في بقية الكتاب.

(٢) بين خذلان الإمام راشد بن الوليد وتنصيب الإمام خليل بن شاذان مدة خمس وستين سنة تداول فيها على حكم عمان عمال الخلافة العباسية وبعض صنائعهم المحليين ثم القرامطة. أنظر الكامل لابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٣هـ وما بعدها.

(٣) توافق سنة ١٠٥٣ميلادية.

بعده راشد بن علي، ومات الإمام راشد بن علي يوم الأحد للنصف من ذي القعدة في سنة ست وسبعين وأربعمائة(١).

ثم من بعده موسى بن أبي جابر المعالي بن موسى بن أنجاد ومات سنة تسع وأربعين وخمسمائة(٢).

ثم من بعده محمد بن خنبش مات سنة سبع وخمسين سنة وخمسمائة (٣) وقبره عند فلج العتيق عند جبل ذي الجنود، وأصيب أهل عمان بموته بما لم يصابوا بأحد من قبله.

ثم عقد للإمام مالك بن الحواري سنة تسع وثمانمائة ومات سنة اثنين وثلاثين سنة وثمانمائة(٤) فهذه مائتا سنة وبضع لم أجد فيهن تاريخاً لأحد من الأئمة فالله أعلم أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة أو غاب معرفة أسمائهم عنا.

٣٠- خروج أهل شيراز وهرمز على عمان:

إلا أني وجدت تاريخ خروج أهل شيراز على عمان ورئيسهم فخر الدين أحمد بن الداية وشهاب الدين وهم أربعة آلاف فارس وخمس مائة فارس وجرى على الناس منهم أذى كثير لا غاية له وأخرجوا أهل عقر نزوى خاصة من بيوتهم، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في عمان وحاصروا بهلا ولم يقدروا

(١) توافق سنة ١٠٨٣ ميلادية.

(٢) توافق سنة ١١٥٤ ميلادية ونلاحظ هنا فترة شغور طويلة.

(٣) توافق سنة ١١٧٩ ميلادية.

(٤) توافق سنتا ٨٠٩هـ و ٨٣٢هـ السنتين ١٤٠٦م و ١٤٢٨م.

عليها، ومات إبن الداية وكسر الله شوكتهم وأصاب الناس غلاء كثير وذلك في دولة السلطان عمر بن نبهان سنة أربع وسبعين بعد ستمائة(١) .

ووجدت فيها أيضاً تاريخاً اخر بخروج أمير من أمراء هرمز يسمى محمود ابن أحمد الكوشي فوصل إلى قرية قلهات وكان المتولي يومئذ على عمان والمالك لها أبو المعالي كهلان بن نبهان وأخوه عمر بن نبهان، فلما وصل محمود بقلهات طلب وصول أبي المعالي إليه، فلما حضره طلب منه المنافع من أهل عمان وخراج أهلها، فاعتذر أبو المعالي إليه وقال إني لا أملك من عمان إلا بلدة واحدة، فقال محمود خذ من عسكري ما شئت واقصد به من خالفك من أهل عمان، فقال أبو المعالي إن أهل عمان ضعفاء لا يقدرون على تسليم الخراج. كل ذلك حمية منه على أهل عمان فحقد عليه محمود وأضمر له المكيدة واستدعى أمراء البدو من أهل عمان فكساهم وأعطاهم فوعدوه النصر على أهل عمان والخروج معه، ثم إنه ارتحل إلى ظفار وركب البحر فلما وصلها قتل من أهلها خلقاً كثيراً وسلب مالا جزيلاً ورجع قاصداً عمان وأخذ طريق البر وحمل ثقله في المراكب في البحر، فلما صار في طريق البر نقص عليه الزاد وأصابهم جوع حتى بلغ عندهم منّ اللحم بدينار، وأصابهم عطش كثير لقلة الماء في تلك الطريق فقيل إنه مات من عسكره خمسة الاف رجل وقيل أكثر وكان هذا في سنة ستين وستمائة سنة(٢)، ووجدت أيضاً تاريخاً اخر: خرج أولاد الريس على عمان وكان خروجهم فسخ شهر شوال سنة خمس وسبعين بعد ستمائة(٣) ، وكان الملك لعمان السيد كهلان بن عمر بن نبهان، فخرج إليهم ليلقاهم بالصحراء وخرج معه جملة أهل العقر كافة فسبقت أولاد الريس على العقر فدخلوها وأحرقوا سوقها وأخذوا جميع ما فيها وسبوا نساءها

(١) توافق سنة ٦٧٤هـ السنة ١٢٧٥ ميلادية.

(٢) توافق سنة ٦٦٠ السنة ١٢٦١ ميلادية.

(٣) السنة ٦٧٥هـ توافق سنة ١٢٧٦ ميلادية.

وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به وأحرقوا الكتب، وكان ذلك كله في نصف يوم.

ثم رجع كهلان بعساكره أول يوم من ذي القعدة واجتمعوا بالسراة فخرجت عليهم أولاد الريس وكانوا سبعة آلاف فانكسرت أولاد الريس ومن معهم من الحدان وقتل في هذه الوقعة ثلاثمائة رجل فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش ومالك بن حواري سنين ملك النباهنة ولعل ملكهم كان يزيد على خمسمائة سنة إلا أنه كان فيما بعد هذه السنين يعقدون للأئمة، والنباهنة ملوك في شيء من البلدان والأئمة في بلدان أخرى والله أعلم.

٣١- الإمام أبو الحسن بن خميس:

ثم عقد بعد موت مالك بن حواري بسبع سنين لأبي الحسن بن خميس بن عامر وذلك يوم الخميس في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وثمانمائة سنة ومات سنة ست وأربعين بعد ثمانمائة يوم السبت وواحد وعشرين من ذي القعدة(١).

ثم عقدوا للإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة(٢) وهو الذي حاز أموال بني نبهان وأطلقها لمن عنده من الشراة وكان ذا يد فيها وأمر فيها بأوامره وذلك أن المسلمين اجتمعوا فنظروا في الدماء التي سفكها آل نبهان والأموال التي أخذوها واغتصبوها بغير حق فوجدوها أكثر من قيمة أموالهم وكان يومئذ القاضي محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج والإمام عمر بن الخطاب، فأقام القاضي

---

(١) يوافق رمضان عام ٨٣٩هـ شهر شباط من عام ١٤٣٦ ميلادية ويوافق ٢١ ذو القعدة عام ٨٤٦ يوم ٢٣ من شهر آذار (مارس) عام ١٤٤٣ ميلادية.

(٢) توافق سنة ٨٨٥ سنة ١٤٥١ ميلادية.

محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلاً لمن ظلمه ال نبهان من المسلمين من أهل عمان، وأقام أحمد بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلاً لملوك ال نبهان، فقضى أحمد أن جميع مال ال نبهان من أموال وأراض ونخيل وبيوت وأسلحة وانية وغلة وتمر وسكر وجميع مالهم كائناً ما كان قضاء ثابتاً للمظلومين، وقبل محمد بن عمر بن أحمد هذا القضاء للمظلومين من أهل عمان من غاب منهم أو حضر، وأكبر منهم أو صغر الأنثى منهم والذكر، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين وقد جهلوا معرفتهم ومعرفة حقوقهم ولم يحيطوا به علماً ولم يدركوا له قسماً، فصار كل مال لا يعرف قسمه ومجهولون أربابه راجعاً إلى الفقراء وكل مال راجع إلى الفقراء فالإمام العدل عند وجوده أولى بقبضه وتصرفه به في إعزاز دولة المسلمين والقيام بها وكل من أصح حقه وأثبته فهو له من أموالهم، ويحاسب بالتجزئة لما يصح له بقسطه إن أدرك ذلك وإن لم يدرك التجزئة ولم يحط بها فذلك النصيب نصيب غير معلوم وهو مجهول للفقراء والإمام يقبض الأموال المغيبة وأموال الفقراء مما لا رب له ويجعله في إعزاز دولة المسلمين، فقد صح هذا القضاء والحكم فيه فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم.

وكان هذا القضاء عشية الأربعاء لسبع أو لتسع ليال خلون من شهر جمادى الاخر من سنة سبع وثمانمائة سنة(١) وكان هذا في عقده الثاني لأنه لما نصب أقام سنة وخرج عليه سليمان بن سليمان فانكسر عمر وعسكره تجمعت من وادي سمايل ثم نصب ثانية.

ثم نصب من بعده محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج بن القاضي في سنة أربع وتسعين بعد ثمانمائة سنة(٢) من الهجرة.

---

(١) سنة ٨٧٧هـ توافق ١٤٨٣ ميلادية.

(٢) ٨٩٤ هـ توافق ١٤٨٨م.

ثم نصب عمر الشريف وأقام سنة وخرج إلى بهلا فنصب أهل نزوى محمد ابن سليمان ثانية.

ثم عقد لأحمد بن عمر بن محمد الربخي.

ثم عقد لأبي الحسن بن عبد السلام وأقام دون السنة وخرج عليه سليمان ابن سليمان.

ثم نصب محمد بن سليمان أيضاً وأقام أياماً.

٣٢- الإمام محمد بن إسماعيل وولده بركات:

ثم عقد لمحمد بن إسماعيل الإسماعيلي الساكن بحارة الوادي الغربية من سكة باب مزار، وسبب ذلك أن سليمان بن سليمان هجم على امرأة تغسل بفلج الغنتق، فخرجت من الفلج هاربة عنه عريانة فجعل يعدو في أثرها حتى وصل حارة الوادي، فرآهما محمد بن إسماعيل فخرج إليه وقبضه عنها وصرعه على الأرض حتى مضت المرأة ودخلت العقر فخلى سبيله، فعند ذلك فرح به المسلمون لما رأوا من قوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنصبوه إماماً وذلك سنة ست وتسعمائة سنة، ومات يوم الخميس لليال بقين من شوال سنة اثنين وأربعين وتسعمائة(١) ونصب ولده بركات بن محمد بن إسماعيل في هذا اليوم الذي مات فيه أبوه، ثم لما كان يوم السبت لعشر ليال بقين من محرم سنة خمس وستين بعد تسعمائة(٢) خرج بركات بن محمد من حصن بهلا ودخله محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري وذلك بعد أن دخل السلطان الأعظم سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان نزوى وملكها في سنة أربع وستين بعد

---

(١) ٩٠٦هـ توافق ١٥٠٠ ميلادية و ٩٤٢هـ توافق ١٥٣٥ ميلادية. وفي حوالي هذا التاريخ كان أول نزول البرتغال في سواحل عمان.

(٢) ٢٠ محرم من سنة ٩٦٥هـ يوافق ٢٤ ت ١ عام ١٥٥٧م.

تسعمائة، ثم ثبت حصن بهلا في يد محمد بن جفير إلى أن اشتراه منه ال عمير بثلاثمائة لك ودخل آل عمير حصن بهلا يوم الثلاثاء لتسع ليال بقين من شهر جمادى الأخرى سنة خمس وستين بعد تسعمائة(١) ولعل كان الإمام عمر ابن قاسم الفضيلي في أيام بركات بن محمد إسماعيل فالله أعلم.

ثم نصب الإمام عبدالله بن محمد القرن في منح يوم الجمعة لخمس عشر يوماً خلت من شهر رجب سنة سبع وستين وتسعمائة سنة ودخل حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا الشهر من هذه السنة، ثم لما كان ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من رمضان سنة ثمان وستين بعد تسعمائة سنة دخل بركات ابن محمد بن إسماعيل حصن بهلا وأخرجوا منه عبدالله بن محمد القرن.

٣٤- ماخذ على أعمال محمد بن إسماعيل وولده بركات:

وكان الشيخ الفقيه أحمد بن مداد يبرأ من محمد بن إسماعيل وولده بركات بن محمد، فقال في سيرته:

" فمن ديننا الذي ندين به لله البراءة من إسماعيل بجبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم وغير منع من الجور والظلم لأنه قد جاء في اثار المسلمين المشهورة عنهم الصحيحة ومن دين المسلمين أن لا يجبي جزية ولا صدقة حتى يكونوا على الناس حكماً ويمنعوا من جبوا من الظلم والعدوان، ومن دين المسلمين أن لا يبعثوا أحداً منهم يجبوا أرضاً لم يحموها ولم يمنعوها، وقال محمد بن محبوب إنه ليس لإمام أن يجبي قوماً ولا يأخذ صدقاتهم وهو لا يمنعهم من أن يجار عليهم، فإذا فعل ذلك قد جار عليهم ولا فرق بينه وبين أهل الجور الذين يأخذون منهم، وليس للإمام أن يأخذ من هؤلاء شيئاً ولا

---

(١) توافق أخريات سنة ٩٦٧هـ السنة ١٥٦٠م.

يعقد عليهم لوال ولاية حماية لهم ومنع، ومن دين المسلمين أن لا يجتمع خراج وزكاة من رعية واحدة.

وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبره الرعية على شراء الزكاة من ثمرة النخل بما يقومه عماله من الدنانير وأخذه لتلك القيمة بالجبر منهم لهم لأن الجبر من الإمام على شراء الزكاة من الحب والتمر قبل قبضها وبعد قبضها لا يجوز في دين المسلمين، إذ الجبر على الشراء في الأملاك لا يجوز بالكتاب والغدر والامتناع من البائع عن تسليم حق واجب عليه تسليمه لغيره وليس في هذا اختلاف بالرأي.

وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبايته المعاشير غير الزكاة دنانير بقيمة ثمرة النخل من أموال رعيته بما يقومه أعوانه وعماله بالدنانير بالجبر من رعيته اليتامى والبالغين والأرامل وغيرهم لنفسه وأعوانه ولخطاره وأضيافه وأهله هدراً وقرضاً بالنية؛ لأن الله قد حرم في كتابه أخذ أموال الناس وأكلها بالباطل وحرمها رسوله في سنته إلا بحقها.

وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن علي البيومي إذ سئل عن الأموال ما يحل منها وما يحرم فقال إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وقد جعل الله الأموال مقسمة على خلقه وملك كل من ذلك ما شاء وحرم على عباده منها ما شاء، وقد قال الله في كتابه (لا تظلمون ولا تظلمون)(١). فحرم الظلم كله والأموال كلها إلا ما اتفق عليه أنه حلال من أموال المسلمين.

وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبايته للخراج، والكسرة للجبابرة من أموال رعيته على الخوف وخشية الظلم على دولته ونفسه ورعيته وأموال رعيته؛ لأن ذلك الخراج والكسرة هو إثم وعدوان وقد حرم الله

---

(١) سورة البقرة اية ٢٧٩.

التعاون على الإثم والعدوان وقال الله: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(١) وحرم الركون إلى الظلم وطاعة الاثم والكافر، وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معونة الظالم وأوعدهم النار فقال: "يحشر الظلمة وأعوانهم ومن أعانهم ببري قلم أو مدة مداد فمأواه إلى النار والله لا يحب الظالمين" وقال: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وقد أجمعت الأمة أن الذي يطلبه الجبار ويأخذه من الرعية هو إثم وعدوان وبغي وظلم ومعصية ومنكر وباطل، فمن جبى للجبابرة وأهل البغي وغيرهم من الناس بالجبر على الخوف منهم على نفسه وماله وعلى الخوف على الناس وعلى أموالهم من غمام أو غيره فقد أعان على الإثم والعدوان وأطاع الأثم على إثمه والكافر على كفره، وقد عصى الله ورسوله بفعله هذا وقد استحق الخلع والبراءة في دين المسلمين.

وقد جاء في الاثار الصحيحة عن المسلمين إذا دخل ظالم البلد وخاف أهلها أغتصابه وظلمه فغير جائز أن يأخذ من مال اليتيم والغائب والحاضر ويدفع به للظالم قبل وقوع ظلمه لأن الله قادر أن يدفع ذلك بأسرع من طرفة عين ويمنع من وصول الظالم.

وقد اجتمع الخراج للجبابرة والزكاة في رعية واحدة عند محمد ابن إسماعيل وقد ضل وكفر محمد بن إسماعيل بأخذ أموال الناس واليتامى والأرامل والمساجد لنفسه وأعوانه وعياله ولخطاره وللجبابرة على الخوف وخشية الظلم وخالف بأفعاله هذه كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين، وصار بأفعاله هذه فاسقاً ظالماً منافقاً ضالاً مبتدعاً كافراً كفر نعمة لأنه قد حكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) سورة المائدة اية : ٢.

وقال محمد في سيرته أيضاً وندين لله تعالى بالبراءة من ولده بركات بن محمد بن إسماعيل لجبايته الزكاة لأبية محمد ابن إسماعيل من الناس بالجبر ودخوله في طاعته وتصويبه إياه على بدعته هذه وضلالته، فصار بركات بن محمد بن إسماعيل مثل أبيه محمد بن إسماعيل ظالماً منافقاً ضالاً مبتدعاً كافراً كفر نعمة.

وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من بركات بن محمد بن إسماعليل لولايته لأبيه وتصويبه إياه في أخذ أموال الناس بالباطل والعدوان، لأن من تولى فاسقاً فهو فاسق مبتدع مثله، وكذلك ندين لله تعالى بالبراءة من عبدالله بن عمر بن زياد ومحمد بن أحمد بن نعسان لولايتهما لمحمد بن إسماعيل وولده بركات ابن محمد بن إسماعيل وتصويبهما إياهما لبدعتهما وضلالهما ودخولهما في طاعتهما وبغضهما الإمامة لبركات بن محمد بن إسماعيل ودخولهما في طاعته على فسقه وظلمه وبدعته وضلالته التي ذكرتها في هذه السيرة من غير توبة نصح منه معهما، وندين لله بالبراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل بتسمية الإمامة وبادعائه أن إمامته جانزة ثابته وأن له الطاعة على الناس، وبجبايته الزكاة بالجبر من الناس وإن بركات بن محمد بن إسماعيل ليس بولي عدل عند المسلمين بل هو فاسق منافق ضال ظالم كافر كفر نعمة متخذاً دين الضلال لا تجوز له الإمامة وإمامته فاسدة من أصلها وفرعها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة من أهل الاستقامة.

ثم إن بركات بن محمد بن إسماعيل لم يقنع بفساد إمامته بل ازداد فسقاً فوق فسقه وظلماً فوق ظلمه وكفراً فوق كفره باستحلاله ما حرم الله في كتابه ورسوله في سنته ودين أهل الاستقامة من أمته لأنه أخذ أموال رعيته البالغين واليتامى والأرامل والمساجد وجباها أعشاراً هدراً وقرضاً بالنية بالجبر والإكراه زيادة فوق الزكاة لنفسه وعياله وأعوانه وللجبابرة على خوف وخشية الظلم.

وقتدى بفعل أبيه محمد بن إسماعيل وقلده وقلد من أفتى أباه من العلماء المتأخرين قياساً ونظراً منهم على الصلاح وعلى قياس السفينة إذا ضربها الخب في البحر فخالف هو ومن أفتى بإجازة ذلك كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين من أهل الاستقامة، وقاس هو ومن أفتى بذلك من العلماء المتأخرين في موضع النص والدين كما قاس إبليس لعنه الله عند وجود النص والدين، فخالف بقياسه هذا حكم كتاب الله وحكم سنة رسول الله بفعله ذلك بالكفر والفسق والظلم لقوله عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.. والظالمون.. والفاسقون..) كذلك محمد ابن إسماعيل وولده بركات قلدا في دينهما من أفتى بإجازة أخذ أموال الناس التي حرمها الله في كتابه وفي سنة رسوله وفي دين أهل الاستقامة من أمته فضلا وأضلامن اتبعهما وصوبهما على ذلك وتولاهما بالدين لأن التقليد في الدين حرام لا يجوز في دين الله وفي ديننا البراءة من بركات بن محمد بن إسماعيل بزيادته خباير في أواد أفلاج رعيته وقعده لتلك الخباير المؤداة بالجبر وإنفاقه ثمن ذلك على أعوانه والجبابرة من أهل البغي، كما صالحهم على خوفه منهم على نفسه ودولته وعلى رعيته وأموالهم، فإقتدائه بأفعال أبيه المذكورة في هذه السيرة وتقليده إياه ولمن أفتاه بإجازتة ذلك لأن كله محرم لا يجوز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.
وأفعال محمد بن إسماعيل وبركات بن محمد بن إسماعيل وأحداثهما التي ذكرتها في هذه السيرة شاهرة ظاهرة لا ينكرها فاعلها بركات ووالده ولا غيرهما من رعيتهما وأعوانهما يشهد بذلك الخاص والعام والبدو والحضر من أهل عمان وربما شهر ذلك في بعض الأمصار من غير عمان وربما شهر ذلك عند مخالفينا وقومنا فتعجبوا من هذه الأفعال التي فعلها بركات بن محمد وطعنوا في المذهب الأباضي من أفعاله هذه على ما ظهر عندنا وبلغنا وفاعل هذه الأفعال يستحق الطعن والإنكار إذ هي مخالفة لدين الملك الجبار ولا يفعلها ويعتقدها صواباً إلا مفسد في الأرض جبار.

وقد دان المسلمون من أهل الاستقامة بتخطيه من عمل بها من إمام أو عالم أو فاجر جبار وأقاموا على ذلك الحجج من الكتاب والسنة وإجماع العلماء الأبرار، وبركات بن محمد بن إسماعيل ووالده يكفيهما من الضلال والبدع بدعة واحدة فأول بدعتهما الخرص في ثمرة النخل وحكمهما بما يقومه الخراص بالجبر على رعيتهما بعشر ذلك الخرص، ولو ذهبت تلك الثمار بريح أو مطر أو جراد، والبدعة الثانية منهما تقويتهما ذلك الخرص بدنانير ما يقومه عمالهما وأعوانهما وحكمهما بالجبر والإكراه على الرعية بتسليم تلك القيمة على سبيل بيع الزكاة قبل قبضها بالجبر والإكراه على الشراء من البيع.

والبدعة الثالثة أخذهما عشر الحبوب التي تجب فيها الزكاة من الزجر والنهر غير الزكاة بالجبر عند الأيتام والأرامل ومن كره من البالغين هدراً لا قرضاً وأخذهما عشر الحبوب التي لا يباح فيها نصاب الزكاة من الفلج والزجر ولو مكوك حب فخالفا بذلك سنة الرسول عليه السلام وإجماع الأمة من أهل الاستقامة لقول النبي عليه السلام: (ليس فيما دون خمسة أو سق صدقة) والوسق ستون صاعاً فذلك ثلاثمائة صاع.

البدعة الرابعة أخذهما من أموال الرعية عشر القت والقصب وجميع الخضرة بالجبر والإكراه فخالفا بذلك إجماع الأمة.

البدعة الخامسة أخذهما قيمة أموال الرعية وأكثرهما دنانير بما يقومه لهما أعوانهما، والبدعة السادسة اجتماع الخراج للجبابرة وأخذ الزكاة منهما من أموال رعيتهما فإن حكم كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين بالحق والهدى لنا وبإجازة الإمامة للإمام العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي أيده الله ونصره وبإبطال إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل المشهور في السيارة فأعينونا عليه واشهدوا بالحق والصدق ولو على أنفسكم وأن تحكم كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين بإجازة بدع محمد بن إسماعيل وبدع ولده بركات وإثبات

إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل وبإبطال غمامة العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي فنحن راضون بحكم الله وسنة رسوله ودين المسلمين ورغماً لأنوفنا إن لم نرض بحكم الله واتبعوا في الحكم بيننا وبين بركات كتاب الله وسنة رسوله ودين المسلمين ولا تقلدونا ولا تقلدوا بركات بن محمد بن إسماعيل ولا أحداً من المسلمين من العلماء الأولين والاخرين في الدين لأن التقليد في الدين حرام لا يجوز في دين الله ودين المسلمين".

فهذا ما اختصرته من سيرة الشيخ أحمد بن مداد يدل على أن إمامة الإمام عمر بن القاسم الفضيلي وقعت على إمامة بركات بن محمد بن إسماعيل والله أعلم وأحكم وبه التوفيق.

****

الفصل الرابع
في ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة وغيرهم*

٣٤- الملوك النبهانيون المتأخرون:

قيل إنه لما مات سلطان بن محسن وكان موته ليلة الاثنين لاثني عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة(١) ترك ثلاثة أولاد هم طهماس(٢) بن سلطان وسلطان بن سلطان ومظفر بن سلطان، وكان المظفر هو المتقدم عليهم في الملك إلى أن مات وكان موته ليلة السبت من شهر محرم سنة ستة وسبعين وتسعمائة(٣) وترك ولده سليمان صغيراً لا يقوم برياسة الملك وكان عم أبيه فلاح بن محسن مالكاً في حصن مقنيات فلما علم بموت مظفر جاء إلى بهلاء وأقام مكانه وعدل في ملكه وملك بعده سبع سنين ثم مات فملك من بعده سليمان بن مظفر وهو ابن اثنتي عشرة سنة واستولى على الأمر في عمان ونواحيها وأخذ خراج أهلها من الطائع والعاصي والداني والقاصي، وحاربه أهل نزوى وكان معهم جبري يقال محمد بن جفير(٤) وعنده جيش عظيم فطلع إليه سليمان بن مظفر وعرار(٥) بن فلاح وعندهما ناصر بن قطن ومن معهم من العساكر فلما التقوا هم ومحمد بن جفير استقام بينهم القتال، فقتل محمد بن جفير وانكسر قومه وكان ناصر بن قطن منتظراً للأمر بينهم فنادى بالكف بين القوم عن القتال وكان محمد بن جفير عنده ولد صغير السن

(*) وهو الباب السادس والثلاثون من كتاب كشف الغمة.

(١) سنة ٩٧٣هـ=١٥٦٥م.

(٢) في الأصل طهيا.

(٣) سنة ٩٧٦هـ=١٥٦٩م.

(٤) هو دون شك محمد بن جفير الذي تقدم ذكره في الفصل السابق، ويبدو أن المؤلف ينقل من مصدرين.

(٥) في الأصل غرار.

واسمه محمد بن محمد وأمه بنت عمير بن عامر فتزوجها سليمان بن مظفر بعدما قتل زوجها، فركن إليها بالبادية فكان في الشتاء ببادية الشمال ويترك ابن عمه عرار بن فلاح ببهلا وإذا جاء الصيف رجع إلى بهلا.

وكان مهنا بن محمد الهديفي مالكاً بلد صحار، فعلم أن العجم متأهبون إليه فأرسل إلى سليمان بن مظفر يستنصره عليهم فلبى دعوته وأطاع كلمته، فخرج إليه بمن عنده من العسكر وتكاملت القوم بصحار.

ووصلت إليهم العجم من البحر فاستقام بينهم القتال وعظم النزال وارتفع العجاج وأظلم الفجاج فانكسر جيش العجم وقتل منهم من شاء الله ورجع سليمان بن مظفر إلى داره بهلا وعنده بنو عمه وهم عشرة: عرار ونبهان ومخزوم أولاد فلاح بن المحسن وكان المقدم عليهم عرار وأما أخوه نبهان فلا يملك رأياً دون رأي أخيه،وكان العرار بن فلاح ملك الظاهرة وأعطى سليمان بن مظفر مخزوماً ملك ينقل، فبقي عنده تسعة أحدهم حمير بن حافظ وعنده أربعة أولاد حافظ بن حمير وسلطان بن حمير وكهلان بن حمير وهود بن حمير فمات حافظ بن حمير بعد رجوعهم إلى بهلا بسنة زمان وبقي معه من بني عمه اثنان من العشرة أحدهما مهنا بن محمد بن حافظ وعلي بن ذهل بن محمد بن حافظ وهم على يدي سليمان بن مظفر.

وكان لسليمان وزراء في القرية وفي النزار من قرية أزكي وفي سمد الشان وكانت سمد الشان لقبيلة الجهاضم، وكان جائراً عليهم ففروا من شدة جوره وبطشه وتفرقوا في البلدان مدة ثلاثين سنة وهم يحتالون في دخولها والتواصل إليها، وكان بنو هناءة من أقرب الناس إلى سليمان بن مظفر وكانوا أكثرهم عدداً وعدة، وبأساً وشدة، وكان فيهما رجلان يليان أمرهم وهما خلف ابن أبي سعيد وسيف بن محمد بن أبي سعيد، وكانا عنده قدوة أهل زمانهم، فافترقوا وكان سبب الفرقة بينهم أن قبيلتين من أهل سيفم إحداهما بنو معن

والأخرى بنو النير وكانتا عصبة لبني هناءة وخصمهم واحد، ثم وقعت الفرقة بين بني معن وبني النير وسبب ذلك أن امرأة من بني معن دخلت زرعاً لبني النير فمرت عليها أمة رجل من بني النير فقالت لها أخرجي من زرع سيدي فأبت، فوقع بينهما الجدال فضربت الأمة المرأة ففقأت عينها، وخرج ذات يوم جمل لبني النير ودخل زرعاً لبني معن فقطعت أذنه، فوقعت الفتنة بينهما وهذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين.

وأصل الفتنة كالنار اليسيرة تحرق الأشياء الكثيرة فافترق عند ذلك القوم فرقتين أما بنو معن وبنو شكيل فهم مع سليمان بن مظفر وبنو النير مع بني هناءة، فعند ذلك سار خلف بن أبي سعيد إلى دارسيت، هو وبنو عمه. وكان سليمان بن مظفر يومئذ بالبادية فعلم بذلك فأرسل إلى وزيره محمد بن خنجر أن قل لخلف يترك شأن القوم فأرسل إليه بالكف عن ذلك فغلب عن ذلك وأظهر أنه يريد الإصلاح بين بني معن وبني النير فأرسل الوزير إلى مولاه سليمان أن خلفاً غلب عن الكف فندب سليمان بن مظفر إلى الوزير أن افعل في أموال بني هناة من القرية من كدم، فأمر الوزير بإخراب أموال بني هناءة، كانت تلك الأموال للشيخ خلف بن أبي سعيد فوقعت العداوة والبغضاء بينهما فأمر عند ذلك الشيخ خلف بني عمه أن أغزوا بهلا فغزوها فقتلوا من قتلوا منها، فكتب الوزير محمد بن خنجر إلى سليمان بن مظفر بما جرى في بهلا فلما علم سليمان بذلك قفل من الشمال إلى بهلا وأراد الصلح بينهم وبين بني هناءة فلم يقع الصلح، وهيأ كل واحد منهما الحرب لصاحبه فجمع السلطان سليمان ما عنده من العسكر ليقابل بني هناءة.

ولما علم بذلك الشيخ خلف أرسل إلى الأمير عمير بن حمير ملك سمايل ينتصر به على سليمان بن مظفر فأجابه إلى ذلك وجاء بمن عنده من القوم من سمايل، فعلم بذلك سليمان بن مظفر فسار بعسكره إلى غبرة بهلا فالتقى هو

والأمير عمير بن حمير فاستقام الحرب بينهما ساعة من النهار ثم رجع سليمان إلى بهلا ورجع الأمير عمير إلى سمايل وترك بعض قومه في دارسيت.(١)

وكان الأمير عمير ذا خلق حسن واسع فلما وصل إلى سمايل أرسل إلى بني جهضم وهم متفرقون في قرى شتى فأقبلوا إليه فوقعت بينهم الألفة وإثبات الصحبة، ثم أرسل إلى سلطان الرستاق وهو مالك بن أبي العرب(٢) ليصله إلى سمايل فسار مالك وصحبه أبو الحسن علي بن قطن، فلما وصلوا إلى سمايل ساروا مع بني جهضم إلى سمد الشان وبنوا لهم بنياناً حول دارهم وترك عندهم الأمير البعض من قومه وترك لهم ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والة الحراب ورجع إلى سمايل.

وأما بنو هناءة وسليمان بن مظفر فإنهم لم تنقطع بينهم الغزوات ثم إن الأمير عمير بن حمير والسلطان مالك بن أبي العرب ساروا إلى نزوى وهما ينتظران الأمر وكان لمالك بن أبي العرب وزير في "عيني" من الرستاق، فدخل عليه أهل الدار وأخرجوه منها، وجاء رجل من أهل عيني إلى سليمان بن مظفر يطلب منه النصر على الخصم، فأعانه ببعض قومه وأرسل معه عرار بن فلاح الخبر إلى السلطان مالك بن أبي العرب بما جرى في داره فأراد المسير إلى داره فقال له الأمير عمير بن حمير قف معنا ولا تخف فهذا من علامات السرور، فقال كيف ذلك والعدو في داري فقال الأمير عمير: ذلك عندي وإنا إن شاء الله من الغالبين، قال الله تعالى (فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا(٣) . كما قال الشاعر:

إذا الحادثات بلغن المدى ... وكادت تذوب لهن المهج

---

(١) المقصود بها بلادسيت وهي إحدى مناطق داخلية عمان.

(٢) هو جد الإمام ناصر بن مرشد ستجيء أخباره.

(٣) سورة الشرح الاية ٥،٦.

وحـل البـلاء وقــلّ العــــزا   فعنــد التنـاهــي يكــون الفــرج

ثم إن بني هناءة أرسلوا إلى الأمير عمير بن حمير أن أقبل إلينا بمن معك من القوم لندخل بهم بهلا فسار هو ومن معه إلى بعض الطريق فنظر إلى قومه فاستقل عددهم فرجع إلى نزوى وكان بنو هناءة ينتظرونه في ليلة كانت بينهم للدخول فلم يصل إليهم فسار إليه الشيخ سيف بن محمد من دارسيت إلى نزوى وجرى بينهما جدال كثير من باب العتاب، فقال الأمير عمير بن حمير خذ من القوم ماشئت فأخذ من عنده قوماً كثيراً لا يعلم عدده إلا الله تعالى وسار إلى دارسيت والأمير عمير ينتظر الأمر بنزوى، فجاء الخبر إلىسليمان بن مظفر أن القوم طلعوا من نزوى إلى دارسيت فمنهم من يقول إنهم قاصدون القرية ومنهم من يقول ينعم ومنهم من يقول بهلا فقسم سليمان قومه فجعل بعضاً منهم في القرية وبعضاً في سليضم. وبنى بنياناً في رأس فلج الجزيين مخافة أن يضره القوم وترك فيه قوماً وقسم بقية القوم في بهلا وترك في الخضرا جماعة من قومه وكذلك ترك في حارة الغاف، وترك في الجامع من البلاد حمير بن جابر بن حافظ ومن عنده من القوم وقسم بقية قومه في العقر.

وكان بن عمه عرار بن فلاح ومن معه من القوم في عيني من الرستاق فسار سيف بن محمد بقدومه من دارسيت إلى بهلا ودخلها وكان أول دخوله من جانب الغرب فتسوروا السور ودخلوا البلاد وكان ذلك منهم ضربة لازب ولم يشعر بهم أحد فقسم سيف قومه ثلاث فرق فرقة باليمين وفرقة بالشمال وفرقة بالوجه وهي التي تلي الجامع من البلاد، وأحكم أمره في الأماكن المختارة للقتال كمسجد الجامع ومسجد أبي عمر وجميع أبواب العقر فما بقي لسليمان ابن مظفر شيء غير الحصن والخضرا بعدما قتل من سادات قومه وفرسانه تلك الليلة عدد كبير.

ونادى سيف بن محمد بالأمان في البلاد وكان بعض أهل البلد معه وجاء الخبر إلى الأمير عمير بن حمير وهو في نزوى أن قومك دخلوا بهلا فركب عند ذلك هو والأمير سلطان بن محمد والسلطان مالك بن أبي العرب والمنصور علي ابن قطن وأهل نزوى وركب خلف بن أبي سعيد الهناوي بمن معه من دارسيت من القوم لينصروا أصحابهم، وكان دخولهم ليلاً ونزل الأمير عمير بحارة الغاف وكانت الخضرا في ملك السلطان سليمان وفيها علي بن ذهل وعنده قوم كثير فأرسل إليهم الأمير عمير ليخرجوا بما عندهم من الزانة(١) فورد علي بن ذهل على قومه يحرضهم على القتال فلم يجبه أحد منهم وعزموا على الخروج ووصل الخبر إلى عرار بن فلاح وهو في عيني من الرستاق أن القوم دخلوا بهلا فنهض من عيني بمن معه ودخل القرية وكانت القرية في ملكهم وكان عمير وسيف بن محمد لم يشاركهما أحد في البلاد إلا الحصن وهم محدقون به وصنعوا في شجرة الصبار التي في السوق برجاً من خشب في أعلى رأسها بالليل وقعد فيه رجل من الجهاضم يقال له جمعه بن محمد الموهوب فضرب رجلاً من الحصن كان خارجاً إلى بيت الوزير ومات وعمل قوم الأمير عمير برجاً في الجامع فضرب صاحب البرج رجلاً من الحصن من مبرز الغرفة من عسكر سليمان، ثم إن القوم قشعوا سور الحصن بالليل فلما أنهدم الجدار علم بهم عسكر سليمان فمنعوهم عن الدخول، ثم إن العسكر طلبوا من سليمان الخروج من الحصن مخافة القتل، فأقاموا ثلاث عشرة ليلة ثم أذن لهم، فطلبوا من الأمير عمير أن يسيرهم فسيرهم بما عندهم من الزانة وسير معهم وزيره، ثم طلع سليمان بن مظفر هو وبنو عمه وعسكره مسيرين من بهلا إلى القرية فخرج هو وعرار من القرية إلى الظاهرة فأمر بعد ذلك الأمير عمير بن حمير يقشع من الحصن فقشع ولم يبق منه عمار ولا جدار فهذه قدرة الله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم.

---

(١) الزانة: عتاد القتال.

وجعل عمير خلف بن أبي سعيد مأمونه في بهلا ورجع إلى سمايل فأقام خلف بن أبي سعيد في بهلا أربعة أشهر ثم خرج عليه سليمان بن مظفر وابن عمه عرار بن فلاح فدخلوا عليه الخضرا وهو في العقر وكانت هذه الدخلة ليلة رابع من شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة سنة بعد ألف سنة(١) وكان سيف ابن محمد هو وبعض قومه في السر فأرسل سليمان بن مظفر لخلف بن أبي سعيد ليسير بما عنده من الزانة فخرج خلف مسيراً وأخذ الأمان على أهل البلد فمنهم من أقام مكانه ومنهم من خرج خوف السلطان، فلما علم سيف بن محمد هذا الخبر جاء في السر وعلم به الأمير عمير بن حمير فأقبل من سمايل إلى نزوى ومضى إلى القرية فأخذها ووهبها لسيف بن محمد فكان مأمونه فيها، ثم رجع إلى نزوى ينظر الأمر عدة أيام فمات سليمان بن مظفر وكان له ولد صغير السن فملك من بعده عرار بن فلاح، ثم طلع سيف بن محمد إلى نزوى وأخذ من الأمير عمير قوماً كثيراً فسار بهم إلى القرية فمكثوا بها سبعة أيام ثم سار بهم ودخل بهم حارة من بهلا اسمها حارة أبي مان فأحدق بهم عرار بن فلاح مدة أيام ثم إنه سيرهم بما عندهم من الزانة وثبت له حصن القرية وتجديد الخدمة مدة سنة وكانت هذه الدخلة ليلة سادس من شهر صفر سنة أربعة وعشرين سنة بعد الألف(٢).

ثم مات بعد ذلك عرار بن فلاح وكان موته لعشر ليال خلت من شهر الحج من هذه السنة، وملك من بعده مظفر بن سليمان وأقام في ملكه مدة شهرين من الزمان ثم مات، وملك من بعده مخزوم بن فلاح مدة شهري زمان فخرج عليه نبهان وسيف بن محمد ليخرجاه من الحصن فطلب التسيار فسيروه بلا زانة ولا سلاح وكان خروجه إلى ينقل من مظاهرة فتولى الأمر على أصحابها مدة من

---

(١) توافق السنة ١٠١٩هـ السنة ١٦١٠ ميلادية.

(٢) ١٠٢٤هـ = ١٦١٥ ميلادية.

الزمان وأقام بعده نبهان ابن فلاح وجعل ابن عمه علي بن ذهل مأمونه في داره بهلا وعلى أثره سيف بن محمد، فسار نبهان بن فلاح إلى دارة مقنيات وأخرج ابن عمه سلطان ابن حمير من بهلا خوفاً منه أن يحاول الاستيلاء على الملك فسار سلطان بن حمير من بهلا إلى صحار فتولى مكانه ذلك الأمر سيف بن محمد مدة سنة والله أعلم.

ثم طلع بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما عنده من القوم إلى بهلا فمنعه سيف بن محمد من الدخول فرجع هو وقومه إلى نزوى منتظراً الأمر، ثم بعد أيام رجع عمير وقومه إلى بهلا ودخل العقروكان سيف بن محمد في دار سيت فعلم الأمر فنهض من دار سيت بمن عنده من القوم ودخل الحصن بقومه فلم يمنعه أحد ثم أرسل إلى نبهان بن فلاح أن القوم دخلوا الدار فأقبل بمن عندك من العسكر فأقام مدة أيام يجمع عساكره، وكان الأمير عمير بن حمير قد أحكم مقابض البلد من أولها إلى اخرها وأقام سيف بن محمد في الحصن مدة أيام ينتظر نبهان وقومه فلم يصل إليه وأرسل عمير بن حمير التسييرة فأبى سيف لأنه يرجو وصول نبهان إليه فلم يصل إليه، ثم طلب سيف التسيار من الأمير عمير فسيره بما عنده من الزانة وقصد القرية.

وأقام عمير بن حمير في بهلا مدة أيام ثم إنه أرسل إلى سيف بن محمد فوقعت بينهما يمين على الصحبه فأقام سيف على ولاية الرعية وعدل فيها فكان متولي الأمر على بني عمه وهم له ناصحون.

ولما استحكم الأمر لسيف بن محمد وكان سلطان بن حمير ومهنا بن محمد بن حافظ وعلي بن ذهل بن محمد بن حافظ ومسكنهم يومئذ بصحار مع محمد بن مهنا الهديفي وكان محمد بن مهنا أراد ليدخل بهم على بن عمهم نبهان بن فلاح في مقنيات ليصلح بينهم، وكان مخزوم في حصن ينقل فلم يقع بينهم صلح فطلع بعد ذلك سلطان بن حمير وعلي بن ذهل بما عندهما من

العساكر فجاء الخبر إلى عمير بن حمير وهو في سمايل أن سلطان سار بقومه من الظاهرة ليدخل بهم بهلا، فطلع هو وقومه من سمايل إلى بهلا ينتظر الأمر ودخل سلطان بن حمير النبهاني حارة بني عمير بن حمير بقومه وعلى إثره سيف بن محمد فوقع بينهم القتال وبنوا عليهم بنياناً حول الحارة من أولها إلى أخرها، وأرسل الأمير عمير بن حمير إلى أصحابه من جميع القرى فطلع إليه الشيخ ماجد بن ربيعة بن أحمد بن سليمان الكندي وعمر بن سليمان العفيف والشيخ سعيد بن أحمد بن أبي سعيد الناعبي مع سادات أهل نزوى ومنح وأقام سلطان بن حمير هو وقومه محصورين مدة لم يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد فطلب عند ذلك سلطان بن حمير من الأمير عمير بن حمير التسيار والخروج فسيره ومن معه بما عندهم من الزانة إلى الظاهرة وأقام سلطان بن حمير وكهلان بن حمير وعلي بن ذهل ومهنا ابن محمد بن حافظ في مقنيات مدة أيام فأوجس نبهان منهم خيفة أن يخرجوه من مقنيات فأخرجهم منها فخرجوا إلى صحار عند الهديفي محمد بن مهنا وأقاموا معه زمان والله أعلم.

ثم إن سلطان بن حمير أشار على محمد بن مهنا أن يغزو دير عمير بن حمير وهو في باطنة السيب، وكان في الدير الأمير سنان بن سلطان والأميران علي بن حمير وسعيد بن حمير فركب محمد بن مهنا وسلطان بن حمير وقومهما من صحار فجاء الخبر إلى الأمراء سنان بن سلطان وعلي بن حمير وسعيد بن حمير أن القوم طلعوا من صحار فما كان إلا قدر ما يخلع الرجل نعليه ويغسل رجليه حتى أقبلت العساكر وسلت البواتر من البر والبحر والسهل والوعر، فوقع القتال وعظم النزال حتى بلغت القلوب الحناجر وقتل عند ذلك الأمير علي بن حمير وانفصل القتال ورجع محمد بن مهنا فعلم بعد ذلك الأمير عمير بن حمير بما جرى على إخوته وبني عمه وهو في بهلا فاعتقد عقيدة الحزم وتسربل بسربال العزم أن لا يرجع عن صحار حتى يحصدهم بالسيف

ويحرقهم بالنار ويبدد شملهم بكل دار، فأخذ في جمع العساكر من البر والبحر فاجتمع معه قوم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وركب إلى مسكت ليحمل قوماً من البحر وأرسل إلى ملك هرموز لينتصر به فنصره بعدة من المراكب مملوءة من المال والرجال وآلة الحرب، وكان قد وصل مركب من الهند بعسكر كثير وفيه آلة الحرب فردته الريح إلى مسكت فأخذه الأمير عمير بن حمير وسار هو ومن معه من النصارى(١) وغيرهم.

وأقام عمير بقومه في باطنة السيب سبع ليال فعلم بذلك محمد بن جفير فتوجه بقومه لينصر محمد بن مهنا فدخل محمد بن جفير وقومه صحار ففرح به محمد بن مهنا فأدخله الحصن وكان بينهما بعض المقاصيد ساعة من النهار فأمر محمد بن جفير عبده ليقبض على محمد بن مهنا فرمى بنفسه من سور الحصن وندب قومه، وكان بعض قومه في برج داخل الحصن فوقع القتال بينهم ساعة من النهار، وطلع محمد بن جفير بقومه من صحار فبلغ هذا الخبر إلى الأمير عمير بن حمير فتوجه إلى صحار بمن معه من الجنود من بر وبحر ودخل صحار نهار تسعة عشر من ربيع الآخر فاستقام بينهما القتال من أول النهار إلى الليل وانفصل القتال ثم بعد ذلك بيوم أو يومين هبطت النصارى من المراكب بما عندهم من آلة الحرب وكانوا يجرون قطع القطن (٢) قدامهم ليتقوا بها ضرب البنادق وكانت عندهم مدافع تسير على أعجال خشب في البر وعليها ستور من الخشب.

---

(١) المراد بالنصارى هنا البرتغاليون الذين وصلوا قبل هذا التاريخ بقليل(أنظر الهامش رقم ١ ص ٧٧ أعلا) واحتلوا الأقسام الساحلية والموانئ من عمان ولم يتقدموا إلى داخل البلاد. ومن الغريب والمؤلم أن يكون جزء من البلاد تحت احتلال الأجنبي الغريب وينصرف أبناء البلاد في الداخل إلى أمثال هذه النزاعات العائلية والخلافات القبلية والأغرب من هذا أن يستنجد بعضهم بالمحتل الأجنبي على إخوانه وأبناء عمومته.

(٢) لم نستطيع فهم المقصود من (قطع القطن) هذه.

كان في جانب الدار برج لمحمد بن مهنا فيه عسكر كثير فجرت عليه النصارى قطع القطن وضربوه بمدفع حتى أنهدم منه البعض وخرج القوم عنه فدخلته النصارى فعلم محمد بن مهنا بذلك فندب قومه فوقع بينهم القتال على البرج بالليل فقتل عند ذلك علي بن ذهل بن محمد بن حافظ وقتل محمد بن مهنا الهديفي ليلة أحد عشرين من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين بعد الألف(١).

أقام بعد ذلك سلطان بن حمير بن محمد بن حافظ النبهاني وأخوه كهلان ابن حمير وابن عمه مهنا بن حافظ وعسكرهم في الحصن بعدما قتل محمد بن مهنا الهديفي، فلما علم الأمر حمير بن محمد أن سيد القوم قتل ندب قومه للقتال فكان القتال بينهم في الليل، ثم طلع عمير بمن معه من تلقاء جامع البلد فلم يمنعه أحد فقتل عند ذلك سلطان بن حمير فانكسر القوم فساروا أشتاتاً متفرقين فمنهم من قتل ومنهم من أحرق ومنهم من أسر ومنهم من جرح ومنهم من خرج ذاهباً على وجهه لا يدري أين يتوجه ولا أين يذهب وعلى هذا جميع أهل البلد فأحرقت البلد بأجمعها من أولها إلى أخرها وأقام النصارى في حصن صحار ورجع الأمير عمير إلى بلده سمايل جذلاً مسروراً(٢).

وكان مخزوم بن فلاح متولياً حصن ينقل فقبض منهم رجلين فأمر عبده ليقتل واحداً منهم فسل عليه السيف ليضربه فاستجار به فلم يجره وضربه ضربة ثانية فاستجار به فلم يجره فلما أراد ليضربه ثالثة استجار بالله فأهوى إليه ليمسك فاه والعبد قد أهوى بالسيف فضرب يد مخزوم وأقام سبعة أيام بجراحه ومات منه، وأما الرجل فإنه سحبه العبد يظنه ميتاً وبه رمق من الحياة فمر به رجل من أهل البلد فقال من يعينني على مواراة هذا الرجل فنطق الجريح

---

(١) ١٠٢٥هـ / ١٦١٦ ميلادية

(٢) وردت في بعض النسخ (خذلاناً لا مسروراً)

أنني حي فحمله على كتفه وادخله البلد فعوفي من جراحه وعاش بعد ذلك الزمان والله على كل شيء قدير وكان هذا بعد أن دخلت النصارى صحار بثلاثة أشهر.

فلما علم نبهان بموت أخيه ركب من مقنيات إلى ينقل وجعل فيها وزيراً ورجع إلى مقنيات وأقام في الملك بعد خروجه من بهلا إلى الظاهرة ثلاثين شهراً، ثم إن نبهان بن فلاح خرج من مقنيات إلى ينقل وترك بعض عسكره في حصن مقنيات وكانوا قد ملوه من كثر جوره وبغيه فعزموا على إخراجه من مقنيات، فوجه رجل إلى الأمير عمير بن حمير وإلى سيف بن محمد لينتصر بهما فسار الأمير عمير وسيف بمن معهما من القوم ودخلوا حصن مقنيات بلا منع ولا قتال وأقاموا مدة أيام ثم ركبا ببعض قومهما إلى ينقل فعلم بذلك نبهان ابن فلاح فخاف على نفسه فركب هو وأربعة من عسكره بلا زانة وقصد إلى دار أخواله الرياسه وذلك لأثني عشر يوماً خلت من شهر صفر سنة ست وعشرين بعد الألف(١) وأقام الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد في ينقل أياماً ثم إن عمير بن حمير وهب البلاد لأهلها يأكلونها هنيئاً ورجع إلى مقنيات، ثم أرسل إلى أهل البلد فسألهم عما كان يأخذ عليهم نبهان فقيل إنه يأخذ نصف غلة النخل وربع الزرع فاقتصر الأمير عمير عليهم بعشر الزرع، وأما أموال السلطان فهي لمن أقام في الحصن، وجعل في الحصن عمر بن محمد بن أبي سعيد ورجع الأمير عمير بن حمير وسيف بن محمد إلى بهلا.

ثم إن نبهان بن فلاح أخذ جنوداً من أخواله ال الريس ووصل بهم إلى الظاهرة ودخل فدى وأقام فيها مدة أيام ثم جاءه أحد ممن كان له مصاحباً من قبل من أهل ينقل فقال له نحن ندخلك البلد ونثبت قدمك ونشد عضدك وننصرك على القوم ونستفتح لك الحصن، فسار بقومه ودخل ينقل ليلة النصف

---

(١) ١٠٢٦ هـ - ١٦١٧ ميلادية.

من الربيع الاخر سنة ست وعشرين بعد الألف وحكم مقابض البلاد من أولها إلى أخرها إلا الحصن وكان فيه قبيلة من بني علي فتحصنوا وأحدق بهم نبهان واستقام بينهم القتال فخرج رجل من أهل الحصن ومضى إلى الأمير قطن بن قطن، وكان الأمير يومئذ ناصر بن ناصر فركب محمد بن محمد بن جفير وعلي ابن قطن بن قطن ابن قطن بن علي بن هلال وناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بما عندهم من القوم وكان مسكنهم ببادية الشمال فساروا حتى دخلوا ينقل فاستقام بينهم وبين نبهان بن فلاح القتال واشتد بينهم الطعن والنزال وارتفع العجاج وارتجت الفجاج فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح فمنهم من قتل ومنهم من طلب التسيار فسير ومنهم من مضى على وجهه وبلغ الخبر إلى الشيخ سيف بن محمد الهنائي أن نبهان بن فلاح دخل ينقل فخرج بعساكره ليقاتل نبهان فلما كان ببعض الطريق بلغه ما وقع على السلطان نبهان بن فلاح من الأمر الكائن والقدرة الغالبة فرجع بعسكره إلى بهلا.

وأما الأمير عمير بن حمير فإنه كان يومئذ يجمع الجموع لينصر بهم السلطان مالك بن أبي العرب اليعربي على بني لمك، فأمده بعساكره جمة فكانت الدائرة على بني لمك ولبث سيف بن محمد الهنائي في بهلا وال عمير في سمايل ومالك بن أبي العرب في الرستاق والجبور في الظاهرة إلى أن ظهر الإمام الأرشد والهمام الأمجد إمام المسلمين ناصر بن مرشد فاستفتح جميع عمان ودانت له جميع البلدان فطهرها من البغي والعدوان والكفر والطغيان وأظهر فيها العدل والأمان وسار في أهلها بالحق والإحسان إلى أن توفاه الله إلى دار الرضوان ومنّ عليه وعلينا وعلى كافة المسلمين بالمغفرة والرضوان إنه كريم منان. وسأشرح ظهوره في الباب الاتي إن شاء الله والله المستعان.

الفصل الخامس
في ظهور الإمام ناصر بن مرشد إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة*

٣٥- ظهور الإمام ناصر بن مرشد:

ولما أراد الله أن يمن على أهل عمان ويكف عنهم الجور والعدوان، ويفصم أهل البغي والطغيان من بعد أن ابتلاهم بما وقع عليهم من الفتنة والامتحان صار أمر أهل عمان إلى الخمول وزالت تلك المخاصمات ودرست الضغائن والحنات وخلف خلف بعد السلف وبقيت عمان مقفرة بعد تلك الرؤساء المتضادين والخصماء المتعادين ولم يبق إلا ذكر أخبارهم وما ذكروه في سيرهم واثارهم وال العلم والعلماء إلى النقصان والأمر إلى النسيان وحصل بينهم التواصل والتراسل وطفيت بينهم تلك الإحن من القلوب وخمدت مسعرات تلك الحروب وصارت كلمتهم واحدة إلا أنه أتى زمان قل فيه العلم وأهله حتى قيل إنه احتاج في بعض الزمان ملك من ملوك اليعاربة من أهل وبل من الرستاق إلى قاض فلم يجد قاضياً من أهل الدعوة فاتخذ قاضياً من أهل الخلاف فلا أعلم من أي المذاهب فهم أن يقلب المذهب ويغيره إلى مذهبه فأرسلوا إلى ذلك الملك لعزله وأرسلوا له قاضياً من أهل الدعوة فتعلم منه العلم ناس من أهل الرستاق وتمسكوا بمذهبهم.

وأكثر ملوك عمان أهل جور وفساد وظلم وعناد وعضدهم على تلك رؤساء القبائل والظلمة من البدو والأرذال وقد ساموا أهل عمان سوء العذاب وساسوهم شر مصاب، وعموا بالظلم الكهول والشباب، وأكثروا فيهم القتل

* (م ٧ – كشف الغمة)

والضرب والاغتصاب، والإذلال والأمر والانتهاب، ثم أوقع الله بينهم العداوة والبغضاء. وهكذا طبع أهل عمان وأرجو أنه لا يزول عنهم عيلهم، لهم الهمم العالية والنفوس الأبية لا ينقادون لسلطان ولا يقرون على هوان ولا يستسلمون إلا لغالب، ومع ذلك لا يتركون المطالب همة الضعيف منهم كهمة الأمير من غيرهم، كل أحد منهم يريد أن يكون الأمر بيده أو بيد من مال إليه بوده، والناس أتباع له و الآخر كذلك وإن لم يكونوا أهلاً لذلك إلا من شاء الله من أهل الورع والصلاح والعفة والفلاح، فإنهم لا تميل لهم الأهواء ولا تأخذهم الحمية حمية الجاهلية. إلى أن صار الأمر منهم إلى الوحشة من بعضهم بعض فتضادوا وتحاربوا وتناهبوا وتسالبوا ولم يقصّر كل فريق منهم عن إساءة قدر عليها في خصمه ولم يبق أحد من أهل المدر والوبر من البادية والحضر ولو كان في شواهق الجبال أو في أودية الرمال إلا وقد تجرع غصص المخاوف وصار الدين والأموال والأنفس إلى أشد المتالف إلا من هون الله عليه المحنة ونجاه من الفتنة ومنّ عليه بالعصمة. فلم يزالوا كذلك منهمكين في موبقات المهالك سالكين شر المسالك، إلى أن منّ الله عليهم بظهور عبده الأرشد إمام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك.

وذلك أنه اختلفت اراء أهل الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق وسلطانهم يومئذ مالك بن أبي العرب المقدم ذكره في الباب السابق، فاستشاروا العلماء المسلمين أهل الاستقامة في الدين أن ينصبوا لهم إماماً يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فأمضوا نظرهم وأعملوا فكرهم من يكون أهلاً بذلك. والقدوة يومئذ خميس بن سعيد الشقصي فاجتمعت اراؤهم أن ينصبوا السيد الأجل فمضوا إليه وطلبوا منه ذلك ورغبوه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابهم إلى ذلك فعقدوا له في عام أربع وثلاثين بعد

الألف(١) وكان مسكنه بقصرى من بلدة الرستاق فأظهر العدل ودمر الجهل وعضده رجال اليحمد بأنفسهم وأمدوه بأموالهم وذخائرهم وأجمع رأيهم أن يهجموا على القلعة ليلاً وكان فيها بنو عمه بعد موت جده مالك فاستفتحها الإمام.

ثم توجه إلى قرية نخل وكان فيها عمه سلطان بن أبي العرب فحاصره أياماً ثم افتتحها، وكانت فرقة من أهلها غير تابعة للإمام فظاهرت عليه الأعداء فحصروه أياماً في الحصن، ثم أتاه رجال اليحمد فنصروه وبدد الله شمل أعدائه.

ومضى إلى الرستاق فأتى إليه أحمد بن سليمان الرويحي في جماعة من بني رواحة ورجال من قبل مانع بن سنان العميري ملك سمايل وأقاموا عنده مدة يدعونه إلى ملك سمايل ووادي بني رواحة فأجابهم وسار في رجال اليحمد حتى وصل سمايل فترك بعض قومه عند مانع بن سنان ومضى إلى وادي بني رواحة واتفق الرأي منه ومن مانع على المسير إلى نزوى فسار إليها وصحبه القاضي خميس بن سعيد ونصرته عصبته من أهل أزكي بالمال والرجال، فاحتوى على أزكي وسار قاصداً نزوى فالتقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة، وكان محله فيها العقر فأقام فيها العدل والإنصاف بعض الشهور، ثم اجتمعت اراء بني أمبو سعيد(٢) وهم رؤساء العقر أن يخرجوه منها فلما كان يوم الجمعة خرج الإمام للصلاة وخرجوا إلى الصلاة فأتى الإمام من كان له محباً، وعليه مشفقاً، فأخبروه بما أضمروا فتحقق الإمام خبرهم وأمر بإجلائهم من البلاد، ونهى عن قتلهم والبطش بهم، فأخرجوا منها كرهاً، فتفرقوا في البلدان والتجأ جمهورهم إلى مانع بن سنان، وكان مانع قد عاهد الإمام

---

(١) ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م.

(٢) في الأصل ابو سعيد.

وحلف له على اتباع الحق فنقض العهد. وفرقة منهم التجأت إلى الهنائي ببهلاء وازرته على حرب الإمام فاستقام الحرب بين الإمام والهنائي، فأمر الإمام بتأسيس حصن في عقر نزوى وكان قديماً قد بناه الصلت بن مالك، فأتم الإمام بنيانه وجاء إليه أهل منح يدعونه إلى إقامة العدل فيهم، فتوجه إلى منح وافتتحها وأظهر العدل فيها وظاهره أهلها بأموالهم وأنفسهم.

ثم رجع إلى نزوى فأتاه أهل سمد الشان وكان المالك لها علي بن قطن الهلالي فوجه الإمام لها جيشاً يقدمهم الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان فافتتحها، ثم أتاه أهل إبرا وكان المالك لها محمد بن جفير بن جبر فجيّش عليها الإمام وافتتحها ودانت له سائر الشرقية ما خلا صور وقريات فإنهما كانتا في أيدي النصارى.

ثم إن الإمام جهز جيشاً وسار على الهنائي ببهلا فوصل إلى قاع المرخ فخان بعض جيشه فرأى الرجوع أصلح فرجع إلى نزوى وجعل يجمع الجيوش والعساكر، فاجتمع له خلق كثير فسار بهم قاصداً الظاهرة، وافتتح بهم وادي فدا وأمر ببناء حصنها ونصره أهل العلاية من ضنك، وكان مقدمهم الشيخ العالم خميس بن رويشد ورجال الفيالين واستقام أمره بها على رغم القالين.

ثم خرج الإمام يطوف على البلدان التي ملكها حتى وصل سمد الشان ورجع إلى الرستاق ومعه بنو ريام إلى أن أقبل جند محمد بن جفير إلى قرية نخل فدخلوها واحتووا عليها ما خلا الحصن، فنهض إليهم الإمام بجيش عرمرم ونصره رجال المعاول، فما لبث القوم فيها ليلة أو ليلتين حتى ولوا الأدبار، ثم رجع الإمام إلى الرستاق فأقبل إليه الشيخ خميس بن رويشد يستنصره على الظاهرة فجهز الإمام جيشاً وسار معه حتى نزل بالصخبري ونصره أهل السرور رجال الضحاحكة بالمال والرجال ومضى قاصداً حصن الغبيّ وفيه جمهور من

ال هلال ومعهم البدو والحضر فاستقام بينهم الحرب وكانت وقعة عظيمة قتل فيها أخو الإمام جاعد بن مرشد.

ثم توجه الإمام إلى عبري فافتتحها وأقام بها ليلتين ورجع إلى الصخبري وحصر حصن الغبيّ حتى فتحه الله له، فولى فيه خميس بن رويشد وجعل بقرية بات والياً من أهل الرستاق، وجعل معه محمد بن سيف الحوقاني وأمرهما بفتح ما بقي من قرى الظاهرة، ورجع الإمام إلى نزوى، فغزاها بنو هلال وكانوا بناحية الأفلاج من ناحية ضنك فالتقاهم الواليان بالدير ففضا جمعهم وأخذوا إبل قطن بن قطن لينتصروا بها عليهم، وحاصروا حصن قطن ابن قطن فركب قطن إلى الإمام فأفدى إبله بتسليم حصنه فأنعم له الإمام برد الإبل وسلم قطن الحصن، فأقام به الإمام والياً ثم توجه الولاة إلى حصن مقنيات فحاصروه وكان فيه وزير من قبل الجبور فجيّش الجبور بني هلال من بدو وحضر وأولاد الريس ونهضوا إلى مقنيات فظنوا أن لا طاقة لهم بها، فقصدوا إلى بات فخاف الولاة عليه لقلة الماء به ولأنه عليه المعتمد، فسار المسلمون من مقنيات إلى بات، ولم تشعر بهم الجبور فوقع القتال بينهم، ثم رجعت الجبور إلى مقنيات فسار إليهم المسلمون فوقع بينهم القتال من صلاة الفجر إلى نصف النهار فشق ذلك على المسلمين وكثر القتل في البغاء حتى قيل أنهم عجزوا عن دفنهم، فكانوا يجعلونهم السبعة والثمانية في خبة، وثبت الله المسلمين فلما بلغ الخبر إلى الإمام جيّش جيشاً وأمّ به الهنائي ببهلا وكان دخوله ببهلا ليلة عيد الحج فحاصرها شهرين إلا ثلاثة أيام ثم أقبلت الجبور لنصرة الهناوي فالتقتهم جحافل الإمام فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل من جيش الجبور قاسم بن مذكور الدهمشي وناس كثرة، فرجعت الجبور وبقى الهنائي ومن معه محصورين حتى سلم الحصن وخرج منه بجميع رجاله والة حربه وماله، وبقي الحصن خالياً فأقام الإمام فيه والياً ورجع إلى نزوى. ثم توجه الإمام قاصداً إلى سمايل لمحاربة مانع بن سنان العميري، فلما سمع مانع بإقبال

الإمام إليه لم يمنع منه وصالح الإمام على أن لا يخرجه من حصنه بل يكون تابعاً للحق فتركه الإمام، ثم عزم الإمام على بنيان حصن سمايل القديم فأسس بنيانه وشيد أركانه وجعل فيه والياً ورجع إلى نزوى.

ثم جهز جيشاً إلى مقنيات وسار إليها فلما وصلها وقعت بينهم الحروب فنصره الله عليهم فما لبثوا في حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر وافتتح الإمام الحصن وجعل فيه محمد بن علي بن محمد والياً.

ولم يزل سعيد الخيالي وجماعته مسرين البغض للإمام يكاتبون الجبور حتى أدخلوهم قرية الصخبري وقتلوا رجلاً من الضحاحكة وناساً من شراة الإمام وغيرهم وحصل فيها جيش الإمام في الحال فوقعت فيها وقائع كثيرة منها وقعة بالعجيفة وهي وقعة شديدة بالغابة ووقعة بالمطهرة ووقعة بالزيادة وهي وقائع شديدة حتى كاد منها ركن الإسلام أن يتضعضع فكثير من القوم أدبر عن الوالي وما بقي عنده إلا قليل وهو في حومة العدو والجموع مشتملة عليه حتى كاد أن يهن عزمه من الخوف فبقي في الحصن الغبيّ محصوراً والوالي فيه محمد بن سيف.

وتحقق الخبر عند الوالي محمد بن علي في مقنيات فجيّش الجيوش وقصد ناصراً لمحمد بن سيف بحصن الغبيّ، فدخل البلد من غير علم الأعداء ففرق شملهم في سائر البلاد، فمنهم من دخل الصخبري ومنهم من هرب في الفيافي ومنهم من قصد ينقل وهي في ملك ناصر بن قطن بن جبر ونصر الله المسلمين.

ثم إن مانع بن سنان كاتب سيف بن محمد الهنائي بالكتمان، ونكث العهد وخان، فجيشا الجيوش ودخلا نزوى، ولم يخل أهلها من الخديعة والعصيان، بل كان ذلك سراً بينهم، وظاهرهم على ذلك بعض القبايل فدخلوا نزوى

واحتووا على العقر وما بقي للإمام سوى الحصن وداروا به أشد مدار وكادوا لكثرتهم أن يهدموا عليه الجدار، حتى جاءته النصرة من أزكي وبهلا ومعهم بنو ريام، فدخلوا عى الإمام، فسرّ بقدومهم وتفرقت عنه جيوش أعدائه وقتل منهم من قتل، فحينئذ اشتد عزم الإمام وقوى سلطانه فأشار على الإمام ذوو الرأي بهدم حصن مانع ابن سنان فعلم مانع بتجهيز الجيش إليه فانهزم من حصنه إلى فنجا وجاء الجيش فهدم الحصن وقصد مانع بن سنان إلى مسكد ثم سار إلى لوى مع محمد بن جفير.

ثم وجه الإمام الجيش إلى بلاد سيت ، وذلك أن سيفاً الهنائي لما خرج من بهلا بنى حصناً ببلاد سيت وكان قائد الجيش الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان مؤلف كتاب خزانة الأخيار في بيع الخيار فلما نزل الجيش ببلاد سيت خرج الهنائي من الحصن هارباً فأمر الوالي بهدم حصنه فهدم، ثم أتى الهنائي إلى الإمام يطلب منه العفو والغفران ودانت له جميع قبائل عمان.

ثم جهز الإمام جيشاً عظيماً وسار فيه بنفسه والشيخ خميس بن سعيد الرستاقي قاصداً ناصر بن قطن في ينقل، فحاصرها أياماً وافتتحها وجعل فيها والياً، ورجع إلى الرستاق ثم جهز جيشاً قوياً وأمر عليه الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان النزوي وأمر أن يقصد الجو وصحبه من الأعيان خميس بن رويشد الضنكي، وحافظ بن جمعه الهنوي، ومحمد بن علي الرستاقي، ومحمد ابن سيف الحوقاني فأتاها وافتتحها وجعل فيها محمد بن سيف والياً، ثم قصد متوجهاً بالجنود إلى قرية لوى وكانت فيها الجبور وقد اختلفوا فيما بينهم وقتل محمد بن جفير ووقعت بينهم العداوة، فنزل عبدالله بالجامع منها ودارت عساكره بالحصن وكان مالكه سيف بن محمد بن جفير الهلالي، وأما إخوته ووزراؤه فقد التجأوا إلى النصارى بصحار وكان مانع بن سنان العميري يومئذ بها فكانوا يغزون جيش الإمام المحاصر لحصن لوى بالليل، ويمدون جماعتهم

المحصورين بالطعام والة الحرب، ثم كاتب أبناء محمد بن جفير يسعون في أنواع الصلح، فعلم الوالي أنها خديعة فجهز لهم جيشاً وأمر عليه محمد بن علي فسار محمد بمن معه فهجم عليهم الفجر وهم بالموضع المسمى منقل مما يلي الجنوب في الحصن على ساحل البحر، فدارت بينهم رحى الحرب واشتد الطعن والضرب ثم رجع محمد بمن معه إلى حصن لوى فلم يزالوا محاصرين الحصن حتى أرسل إليهم سيف بن محمد يريد الأمان ليخرج من الحصن، فأعطاه الوالي الأمان فخرج بمن معه ودخل الوالي الحصن، وقد ساعد الوالي على حصر الحصن ناصر بن قطن ورجال العمور، وجعل عبدالله والياً في الحصن من جانبه ورجع هو إلى الإمام.

ثم جهز الإمام جيشاً وأمر عليه الشيخ مسعود بن رمضان وأمره أن يقصد بهم مسكد(١)فسار حتى نزل طوي الرولة من مطرح فدارت رحى المنون بين المسلمين والمشركين فنصر الله المسلمين فهدموا من مسكد بروجاً باذخة ومباني شامخة وقتلوا من المشركين خلقاً كثيراً، ثم إنهم طلبوا الصلح فصالحهم الوالي على فك ما بأيديهم من أموال العمور وأموال الشيعة من صحار، فأذعنوا بالطاعة فامنهم على ذلك وأخذ منهم العهود على الوفاء ورجع إلى الإمام منصوراً.

ولم يزل مانع بن سنان كامن العداوة للإمام قادحاً في الدولة، فاستأذن مداد بن هلوان الإمام في قتل مانع بالخدعة فأذن له فكاتبه مداد ليدخله حصن لوى وأطمعه فيه بلطف كلامه، وكان الوالي في لوى حافظ بن سيف ولم يزل مداد يكاتب العميري بالمودة والنصيحة ويحلف له بالأيمان الصحيحة لئلا تدخل في قلبه الظنون القبيحة، ففرح بذلك مانع واستبد برأيه وكان مسكنه قرية دبا فركب مانع إلى صحار فأقام بها أياماً ينتظر أمر مداد مجدد له مداد

---

(١) المقصود بها مسقط، وكانت أنذاك بيد البرتغال.

العهد فركب مانع إلى لوى ونزل بها بعد ما ضمن له مداد بدخول الحصن وواعده على ليلة معلومة فلما كان تلك الليلة فرق الوالي العسكر يدورون في البلاد كأنهم يسيرون وتعاهدوا أن يلتقوا على مانع من اليمين والشمال فلم يدر مانع إلا وقد أحاطت به الرجال من يمين وشمال فأخذ حينئذ قهراً وقتل صبراً وتفرقت جنوده وقتل من بقي معه.

ثم إن الإمام جهز جيشاً وجعل عليه علي بن أحمد وعضده ببني عمه من ال يعرب وأمره بالسير إلى قرية جلفار وهي الصير وكان المالك لها يومئذ ناصر الدين العجمي وعنده عساكره من العجم وبعض النصارى، فحصرهم علي بن أحمد بحصن الصير فنصبوا له الحرب وقوى بينهم الطعن والضرب وظاهرتهم فرقة من أهل الصير على جيش الإمام وكان يحصن الصير برج معتزل له جدار متصل بالحصن وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار، وكانت عربان النصارى(١) في البحر تدفع مدافعها المسلمين عن الحصن، فعزم المسلمون على الهجوم على البرج فهجموا عليه ليلاً وأخذوه قهراً ومالوا على الحصن فافتتحوه وجعل فيه قائد الجيش والياً، ثم أقبل الجيش وكان هناك حصن على الساحل للإفرنج فسار إليه بعض الجيش وفيهم رجال الدهامش وخميس بن مخزوم، فدخلوا الموضع نهاراً واحتووا على ما فيه، فامتنع النصارى بالحصن فحاصرهم المسلمون وبنوا حولهم حصناً فذلت دولة المشركين وطلبوا الصلح فصالحهم الوالي فهبطوا من الحصن فجعل القائد فيه والياً وترك معه بعض العسكر، ورجع علي بن أحمد بمن معه من العسكر إلى نزوى فاستبشر الإمام بقدومه وبفتح الصير.

ثم إن الإمام أمر والي لوى وهو حافظ بن سيف وكان معه رجال العمور شراة أن يسير إلى صحار وكان فيها يومئذ النصارى ويبني بها حصناً فأرسل

---

(١) المراد بالنصارى البرتغال لكننا لا ندري ما المراد ب" عربا ن النصارى".

الوالي إلى من بقربه من القرى من بني خالد وبني لازم والعمور، فاجتمعت عنده عساكر كثيرة، وكان رجال من صحار يدعونه إلى ملكها فمضى إليها بجيشه وبات بقرية عمق، وصبح البلد ضحى ولم يعلم به أحد من الأعداء وذلك اخر يوم من شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين بعد الألف(١) فأناخ بمكان يسمى البدعة من صحار وصال المسلمون على المشركين واشتد بينهم الطعن والضرب وكانت النصارى تضرب بمدافعها من الحصن ثم انتقل الوالي من مكانه إلى مكان اخر ولم تزل الحرب بينهم، وضربت المدافع وجاءت ضربة مدفع فاخترقت القوم حتى وصلت مجلس الوالي فأصابت راشد بن عباد فمات شهيداً رحمه الله، فعزم الوالي رحمه الله على بناء حصن فأمر بتأسيسه فأسس في الحال حتى إذا تم بنيانه نزل به الوالي، ولم تزل الحرب بينهم قائمة في الليل والنهار.

ثم إن القاضي خميس بن سعيد الرستاقي سار بمن معه قاصداً قرية بوشر فأرسلت إليه النصارى بالصلح فأعطاهم الصلح ثم بعث رسله إلى مسكد، ثم ركب حتى أناخ بمطرح وجاءت وجوه النصارى إليه فاصطلحوا وأمر خميس بفك المقابض عنهم ورخص الناس في السفر إليهم وكفت الأيدي عن القتال.

ثم إن الإمام جهز جيشاً إلى صور فحاصرها الجيش حتى فتحها وسار بعض الجيش إلى قريات وكان بها حصن للنصارى فبنى المسلمون فيها حصناً وفتحوا حصن النصارى واحتوى على جميع إقليم عمان ما خلا صحار ومسكد.

ولم يزل ناصر بن قطن يغزو عمان بمن معه من الأحساء ويأخذ من بواديها المواشي ويسلب وينهب في كل سنة ويرجع إلى الأحساء فكتب الإمام لواليه محمد بن سيف الحوقاني أن يتجسس عن قدوم ناصر فإذا علم به التقاه بالحشود دون عمان فجمع الوالي عنده العسكر من البدو والحضر فلما علم

---

(١) ويصادف أواخر شهر تموز (يوليو) ١٦٦٣م.

بقدوم ناصر تلقاه فلما علم ناصر بجيش الإمام قصد الظفرة ودخل حصنها وتعصب له بنو ياس، ووجه ناصر رسله إلى الوالي يطلب الصلح وكان قد قل على الوالي الزاد وبعدت عليهم الدار، فصالحه على رد ما نهبوه وغرم ما أتلفوه مما اكتسبوه.

ورجع الوالي بمن معه وأما ناصر فإنه جمع البدو من الظفرة وعزم على الهجوم على حصن الجو وكان فيه أحمد بن خلف والياً وتابع ناصراً كافة أهل الجو وأعانوه على الوالي ودارو بالحصن فعلم به الولاة من الباطنة والظاهرة فاتوا أحمد بن خلف فخرجت جيوش الأعداء منها ثم أقبل الوالي الأكبر من نزوى بجيشه فأمر بهدم حصون الجو كافة ما خلا حصن الإمام وتفرقت الأعداء.

وأما عمير بن محمد فقد مضى إلى صحار مع النصارى والباقون قصدوا العقبة من جلفار وكانوا يقطعون الطريق ويغزون البلدان فسارت عليهم الولاة فقتل من قتل منهم وانهزم من انهزم وأخذ الوالي إبلهم ورجع إلى عمان، وأما ناصر بن قطن ومن معه فقد مضى إلى الباطنة فهجم على بلدان بني خالد وبني لازم فأخذوا وسلبوا ما على النساء من الحلي والكسوة ورجعوا بما أخذوا إلى الأحساء. ثم إن ناصر بن قطن رجع إلى عمان ثانية وقصد الباطنة للنهب والسلب فجهز عليه الإمام جيشاً وأمر عليه علي بن أحمد وعضده محمد بن الصلت الريامي وعلي بن محمد العبري وأحمد بن بلحسن البوشري، فمضوا إلى قرية لوى فأقبل ناصر بن قطن بقومه فوقع بينهم الحرب، ثم ركب ناصر إلى مجيس فاتبعه الوالي بمن معه، ثم ركب ناصر قاصداً أرض الشمال فركب الوالي في طلبه فكان أول من لحقه أحمد بن بلحسن البوشري، ومراد وراشد ابن حسام وبعض الشراة بموضع يقال له الخروس ، فوقع القتل في المسلمين

قبل أن يتكامل جيش الإمام فقتل المتقدمون جميعاً ولله الدوام. فلما وصل الجيش رأوا أصحابهم صرعى ولم يروا أحداً من جيش ناصر.

ثم إن ابن حميد وهو محمد بن عثمان غزا بلاد السر وكان فيها الوالي محمد بن سيف الحوقاني، وكان بها يومئذ سعيد بن خلفان فطلب سعيد من ابن حميد المواجهة فتواجها بمسجد الشريعة من الغبي فسأله أن يرد ما كسبه ونهبه فأبى وازداد عتواً ونفوراً، فأمر سعيد بأسره فأسر وقيد في حصن الغبيّ فأمر الإمام بإتيانه إلى الرستاق فأتي به مقيداً في الحبس سبعة أشهر وتوفي.

ثم إن الإمام جهز جيشاً وأمر سعيد بن خلفان وعضده بعمير بن محمد بن جفير فساروا قاصدين لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي، فالتقاهم بنو ياس دون الإبل بموضع يقال له الشعيبة قريباً من الظفرة فوقع بينهم الحرب وكان مقدام بني إياس صقر بن عيسى فقتل وجماعة من رجاله، فغضب محمد بن عيسى لقتل أخيه ورأى الموت خيراً له من الحياة بعده فحمل على جيش الإمام فقتلوه فطلب بنو إياس العفو من الوالي فعفا عنهم.

ورجع الجيش فأمره الإمام أن يمضي إلى مورد يقال له دعفس به إبل لناصر ابن قطن فمضوا إليه فوجدوها، ثم إنهم جعلوها أمانة مع عمير بن محمد بن جفير وكان له أخ يسمى علياً، فأشار عليه بعض خدمه أن يدخل بها على ناصر ابن قطن فمضى بها إليه. فلم يزالو يغزون عمان حتى خافت منهم البدو والحضر والتجأوا إلى البلدان، ثم أقبل ناصر غازياً وأناخ بجيشه ناحية الجنوب ووجه أصحابه لقطع الدروب فوجه إليه الإمام جيشاً وأمر عليه سيف بن مالك وسيف بن أبي العرب وحزاماً فبادرت أول زمرة من جيش الإمام على جيش ناصر بن قطن فقتلوا جميعاً لقلتهم وكثرة عدد خصومهم، وسار ناصر بن قطن إلى الأحساء ولم يسمع عنه بعدها خبر.

وأظهر الله إمام المسلمين على جميع الباغين فأخرجهم من ديارهم وقراهم واستوثق مردتهم وأهان عزيزهم وقمع ظالمهم ومنع غاشمهم وأمكنه الله منهم وأعانه عليهم وأيده بنصره وأمده بتوفيقه حتى علا الإسلام وظهر، وخفي الباطل واستتر، وغشي العدو بعمان وانتشر فيهم البدو والحضر ولم تبق إلا طائفة من النصارى متحصنين في سور مسكد بعد أن نصب لهم الحرب حتى وهنوا وضعفوا ووهى سلطانهم وتفرق أعوانهم وكان الموت والقتل يأتي على أكثرهم فتوفاه الله وجميع أهل الخير عنه راضون وله موالون مناصرون وكانت وفاته يوم الجمعه لعشر ليال خلون من ربيع الاخر من سنة تسع وخمسين وألف سنة (١) من الهجرة كما قال الشاعر:

فبالجمعة الزهراء مات ابن راشـد

لعشر من الشهر الربيـع المؤخـر

وخمسون مع ألف وتسع تصرمت

لهجـرة هادينـا النبـي المطهـر

وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة وقبر في نزوى مع مساجد العباد وقبره مشهور ومعروف.

فضائله: وللإمام ناصر بن مرشد فضائل مشهورة فمنها أنه كان رجل نائماً في مسجد قصر الرستاق فرأى كأن في إحدى زوايا المسجد سراجاً مضيئاً فلما انتبه رأى في تلك الزاوية الإمام مضطجعاً وذلك قبل إن تعقد له الإمامة. وقيل إن أمه كان لها زوج بعد أبيه فكان الإمام رحمه الله يأمرها أن تصنع له طعاماً قبل طعامهم لئلا تبقى بقية من طعام زوجها فتدخل في طعامه، فخالفت أمره يوماً فعجنت طحين زوجها ثم خبزته ولم تغسل الوعاء وصبت طحين

(١) يصادف ١٠ ربيع الأخر سنة ١٠٥٩ اليوم ٢٣ من شهر نيسان إبريل عام ١٦٤٩، وفي بعض المصادر أن تاريخ مبايعته هي ١٠٢٤هـ وتاريخ وفاته ١٠٥٠هـ.

الإمام في ذلك الوعاء فقيل إن يدها لصقت بالطويج ولم تقدر على نزعها حتى رضي عنها الإمام.

ومن فضائله رحمه الله بعدما عقد له كان ناس من أهل النفاق مجتمعين في بيت رجل منهم يسبون الإمام بكلام قبيح فنهتهم زوجة ذلك الرجل فلم ينتهوا فخرجت عنهم فخر عليهم سقف البيت فماتوا جميعاً.

ومن فضائله رحمه الله وغفر له قيل أن مطية أكلت من طعام بيت المال فتحرشت فلم تزل كذلك حتى رأت الإمام فأتت إليه فوضعت رأسها على منكبيه فلم تزل كذلك حتى جاء ربها فسأله الإمام عن حالها فأخبره إنها أكلت من طعام بيت المال فتحرشت فرضي له الإمام وأحله ومسح بيده الكريمة على رأسها فبرئت مما بها.

ومن فضائله رحمه الله قيل أن جراب تمر أشبع أربعمائة رجل وكذلك مورة رز أشبعت أربعمائة رجل.

ومن فضائله رحمه الله وغفر له ونوّر ضريحه أنه كان ذات ليلة نائماً فوق سطح في أيام الحر إذ أتى إليه رجل يريد ليقتله فوقف على رأس الإمام وفي يده خنجر مشحوذ والإمام نائم فلم يقدر أن يضرب الإمام وأمسك الله على يده حتى انتبه الإمام فرآه واقفاً على رأسه وبيده خنجر مشحوذ فسأله ما يريد فقال ما يسعني غير عفوك فعفا عنه ولم يعاقبه.

ومن فضائله أن بدوياً ضلت له ناقة فمضى في طلبها هو يمشي إذ رأى أثر قدم إنسان فاستعظم تلك القدم فجعل يقصها حتى انتهت به إلى غابات شجر فسمع صوتاً من داخل الشجر أن مطيتك في مكان كذا من موضع كذا فامض إليها وقل للإمام ناصر يلزم هذه السيرة فإنها سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فمضى البدوي مرعوباً وقصد الموضع الذي وصف له فرأى مطيته في

المكان الموصوف ثم مضى إلى الإمام وكان الإمام قدر رأى في نومه أن بدوياً أتاه يبشره أنه على سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلما وصل إليه البدوي راه في يقظته كما راه في نومه فحدثه ما جرى عليه وبما سمع فحمد الله الإمام على ذلك وأمر للبدوي بنصف جراب تمر ونصف جراب حب وثوب فمضى البدوي شاكراً ولفضل الإمام ذاكراً.

ومن فضائله رحمه الله وغفر له أنه كان يعطي نفقته له ولعياله من بيت المال ولم تكن لهم قدر يطبخون فيها طعامهم فكانت زوجته تنقص من النفقة يسيراً يسيراً حتى باعته واشترت به صفرية، فلما راها الإمام سألها من أين لك هذه الصفرية فأخبرته بما صنعت فقال لها استعميلها وهي لبيت المال وأمر وكيل الغالة أن ينقص من نفقتهم قدر ما كانت هي تنقصه والله أعلم.

وقيل أن القاضي محمد بن عمر دخل يوماً على الإمام فراه متغير الوجه فسأله عن حاله فلم يخبره فألح عليه فأخبره أنه لم يكن له ما ينفقه على عياله لسنة العيد، فذكر الشيخ محمد للوالي أن يدفع للإمام شيئاً من الدراهم من بيت المال فقيل إنه دفع له عشرة محمديات والله أعلم، ففضائله كثيرة لا تحصى رحمه الله وغفر له وجزاه عنا وعن الإسلام خيراً بما قدم فيه بحقه وعدله أفضل ما جزى إماماً عن رعيته.

٣٦- الإمام سلطان بن سيف:

ثم إن المسلمين لما مات الإمام ناصر بن مرشد بن مالك عقدوا لابن عمه الإمام سلطان بن سيف بن مالك رحمه الله وغفر له في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله. فقام بالعدل وشمر وجاهد في ذات الله وما قصر ونصب الحرب لمن بقي من النصارى بمسكد وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها له ولم يزل يجاهدهم أينما يجدهم في بر وبحر،

فاستفتح كثيراً من بلدانهم وخرب كثيراً من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم (١) فقيل إنما بنى القلعة التي بنزوى من غنيمة الديو(٢) وقد لبث في بنائها اثنتي عشرة سنة وأحدث فلج البركة الذي بين أزكي ونزوى وهو إلى أزكي أقرب.

وربما تكلم في إمامته من أسباب التجارات لأن له وكلاء معروفين بالبيع والشراء له وقد جمع مالاً واعتمرت عمان في دولته وزهرت واستراحت الرعية في عصره وشكرت ورخصت الأسعار وصلحت الأثمار وكان متواضعاً لرعيته ولم يكن محتجباً عنهم وكان يخرج في الطريق بغير عسكر ويجلس مع الناس ويحدثهم ويسلم على الكبير والصغير والحر والعبد ولم يزل قائماً مستمراً حتى مات رحمه الله وغفر له وقبر حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد وكانت وفاته ضحى الجمعة السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة تسعين وألف سنة(٣).

٣٧- الإمام بلعرب بن سلطان:

ثم عقد من بعده لولده بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك فلم تزل الرعية له شاكرة ولفضله ذاكرة وكان جواداً كريماً وعمر يبرين وبنى بها حصناً وانتقل من نزوى إليها.

---

(١) ما يؤسف له أشد الأسف: أن المؤرخين العمانيين لم يكتبوا لنا أخبار حروب الإمام سلطان مع البرتغال بالتفصيل الواسع الذي اعتادوا أن يكتبوا به معاركهم القبلية المحلية، فمما لاشك فيه أن إجلاء البرتغال عن شبه جزيرة العرب على يد هذا الإمام الهمام كان مفخرة قومية وعملاً رائعاً، وكان نقطة تحول هامة في تاريخ المنطقة. وقد اختلف المؤرخون في تاريخ جلاء البرتغال عن مسقط فبعضهم يرتفع به إلى عام ١٦٥٨ وبعضهم ينزل به إلى عام ١٦٤٥. على أن المتواتر أن عام الجلاء هو عام ١٦٥١.

(٢) الديو موضع بأرض الهند غزاه الإمام سلطان بن سيف وعاد منه بغنائم.

(٣) ١٦ ذو القعدة سنة ١٠٩٠هـ = ١٩ك سنة ١٦٧٩.

ثم وقعت بينه وبين أخيه سيف فتن أصيب بسببها كثير من أهل عمان ومن فقهائهم ومشايخهم وأهل الورع والزهد والعلم فيهم بعقوبات كثيرة، ثم إنه خرج من نزوى وقصد ناحية الشمال ثم رجع إلى نزوى فمنعه أهل نزوى من دخولها فسار إلى يبرين واجتمع أكثر أهل عمان وعقدوا الإمامة لأخية سيف بن سلطان، وأحسب أن الأكثر دخل في الأمر تقية وأحسب أن بعضاً عوقب بتركه في العقد.

وخرج سيف على أخيه وأخذ كافة حصون عمان ولم يبق إلا حصن يبرين فسار إليه وحاصره فوقع بينهم الحرب حتى مات بلعرب في الحصار فطلب أصحابه الأمان ليخرجوا من الحصن فأمنهم سيف فخرجوا من الحصن، وأحسب أن بعضاً من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات ويرون أن سيف بن سلطان باغ على أخيه.

٣٨- إمامة سيف بن سلطان:

واستولى سيف على كافة عمان فلم يزل مقيماً منصفاً بينهم راداً قويهم عن ضعيفهم وهابته القبايل من عمان وغيرها من الأمصار وحارب النصارى في كل الاقطار وأخرجهم من ديارهم وابتزهم من قراهم ، وأخذ منهم بندر ممباسة والجزيرة الخضراء وكلوه وبات وغيرهن من البلدان من ناحية الزنج بأرض السواحل (١).

وعمر عمان كثيراً وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها النخل والأشجار، وجمع مالاً جماً فصارت الأصول التي له في عمان مقدار ثلث أصولها. والأفلاج التي أجراها سبعة عشر فلجاً حدثاً فهي أفلاج المسفاة من الرستاق وفلج الحزم وفلج الصائغي وفلج الهوب، وأفلاج جملة في الجعلان وغيرهن كثير، وغرس في

---

(١) هذه الجزر في شرق أفريقيا أخذها من البرتغال والده الإمام سلطان.

عمان من ناحية بركا في الباطنة ثلاثين ألف نخلة ومن النارجيل ستة الاف، وله غير ذلك أموال في المصنعة من الباطنه لا تحصى، وملك إماء وعبيداً سمعت أن قيل إن عددهم ألف وسبعمائة وكان شديد الحرص على المال. وغرس أشجاراً مجلوبة من البحر وأشجاراً في الجبل مثل الورس والزعفران والبن. وجلب له ذباب النحل، وقويت عمان به وصارت خير دار. وقيل أنه ملك من السفن أربعة وعشرين مركباً وقيل ثمانية وعشرين مركباً فالكبار خمسة: الملك والفلك والرحمن وكعب الرأس والناصري، والبواقي كبار ولكن ليس مثل هؤلاء. فالملك فيه ثمانون مدفعاً أتته من الولاية طول الواحد ثلاثمائة شبر، وعرض دفته قدر ثلاثة أذرع وعلوه سبع قامات دون الدقالة وأوصافه لا تحصى. ومن تلك المراكب الفلك أعرض منه وأما طوله مثله إلا أنه أخف وأوجز من ذلك بقليل، وقيل رأس المال بيد وكيله بمسكد سبعة وخمسون لك محمدية.

وتوفى في الرستاق وقبره في القبة التي فوق القرن غربي قلعة الرستاق وكانت وفاته ليلة الجمعة الشريفة وثلاث ليال خلت من شهر رمضان في سنة ثلاث وعشرين ومائة وسنة وألف (١).

٣٩-إمامة سلطان بن سيف بن سلطان:

ثم عقدوا لولده سلطان بن سيف فقام واستقام وجاهد الأعداء في البر والبحر وحارب العجم في مواضع شتى وأخرجهم من بلدانهم ودمرهم في أوطانهم وأخذ البحرين والقسم ولارك وهرمز. وبنى حصن الحزم بالجص والحجر، وانتقل من الرستاق إليه، وأنفق ألوفاً ولكوكاً، ولم تتحرك عليه حركة من أهل عمان ولا غيرها وربما ذلك بقية بقيت له من هيبة أبيه. ومات في حصن الحزم الذي بناه وقبره في البرج الغربي منه وكانت وفاته يوم الأربعاء في

(١) ٣ رمضان سنة ١١٢٣هـ = ١٤ ت١ عام ١٧١١ م

شهر جمادى الاخرة لخمس ليال خلون منه في سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف سنة (١).

٤٠- إمامة مهنا بن سلطان:

وبعد وفاته فإن رؤوس القبائل الذين في قلوبهم العصبية والحمية أرادوا أن يكون مكانه ولده سيف وهو صغير لم يراهق. وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك وهو الذي تزوج بنت الإمام سيف أخت سلطان هذا ، إذ هو فيما عندهم أنه أهل لذلك ، وأنه ذو قوة عليها ، ولم يعرفوا عنه ما يخرجه من الولاية وعرفوا أن إمامة الصبي لا تجوز على كل حال . لأن إمامته لا تجوز في الصلاة فكيف يكون إماماً يتولى الأحكام ويلي الأموال والدماء والفروج ولا يجوز أن يقبض ماله فكيف يجوز أن يقبض مال الله ومال الأيتام، والأغياب من لا يملك أمره .

فلما رأى الشيخ عدي بن سليمان الذهلي القاضي ميل الناس إلى ولد الإمام ولم يجد رخصة ليتبعهم على ذلك وخاف أن تقع الفتنة لاجتماع الناس على الباطل ، وربما أشهروا السلاح ووقع بعض الجراح فأراد تسكيتهم وتفرق إجماعهم. فقال لهم أمامكم سيف بن سلطان بفتح الألف والميم الثانية من أمامكم ويعني قدامكم ، ولم يقل إمامكم بكسر الألف وضم الميم الثانية الذي يكون بذلك الملك والسلطان القائم بالإمامة ، قال ذلك على معنى المندوحة، فعند ذلك نادوا بالإمامة وضربوا المدافع إظهاراً وإشهاراً. وانتشر الخبر في عمان أن الإمام هو سيف بن سلطان، فلما سكتت الحركة وهدأ الناس أدخلوا الشيخ المهنا حصن الرستاق خفية وعقدوا له الإمامة في هذا الشهر الذي مات فيه سلطان هذه السنة. فقام بالأمر واستراحت الرعاية في زمنه وحط عن الناس العادات

---

(١) ١١٣١هـ - ١٧١٨ميلادية.

بمسكد (١).ولم يجعل لها وكيلاً وربحت الرعية في متجرها. ورخصت الاسعار، وبورك في الثمار. ولم ينكر عليه أحد من العلماء وإن لم يكن هو كثير العلم، إلا أنه يتعلم ويسأل ولم يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء فلبث على ذلك سنة حتى قتل ظلماً. وسأشرح لك كيفية قتله وسبب الفتنة وما الت إليه أمور أهل عمان في باب مفرد ثان إن شاء الله.

---

(١) أي الرسوم الجمركية.

الفصل السادس

في ذكر وقوع الفتنة في عُمان وما آلت إليه تلك الأمور(*)

٤١- إمامة يعرب بن بلعرب:

فلما عقد لمهنا بن سلطان لم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مسرين العداوة له وللقاضي عدي بن سليمان الذهلي ولم يزالوا بيعرب بن بلعرب بن سلطان(١) يحضونه على القيام بأمر سيف والخروج على مهنا حتى خرج على الإمام مهنا "وسار مختفياً إلى مسكد فما كان إلا وقيل إن يعرب بن بلعرب في الكوت الشرقي"(٢) وكان الوالي فيها يومئذ الشيخ مسعود بن محمد بن مسعود الصارمي الريامي. وكان الإمام مهنا خارجاً إلى فلج البزيلي من ناحية الجو فبلغه الخبر فرجع إلى الرستاق فقام وشمر وجاهد وما قصر، وطلب من أهل عمان النصر فخذلوه ولم ينصروه. ونصب له أهل الرستاق الحرب وحصروه في قلعة الرستاق، ثم طلع يعرب من مسكد إلى الرستاق وسأل المهنا النزول من القلعة وأعطوه الأمان على نفسه وماله ومن معه ففكر في أمره فرأى أنه مخذول وليس له ناصر من أهل عمان، وتبين له الخذلان فأجابهم إلى ما أعطوه من الأمان فنزل من القلعة فزالت بذلك إمامته، فأخذوه وقيدوه وخشبوه هو وواحد من أصحابه من بعدما أمنوه، واستقام الأمر ليعرب ولم يكن يدعي الإمامة بل جعل الإمامة لابن عمه سيف بن سلطان وهو القائم له بالأمر إذ سيف

(*) وهو الباب الثامن والثلاثون من كتاب كشف الغمة.

(١) بن سيف بن مالك.

(٢) ما بين القوسين ورد في نسخة المتحف البريطاني "فقهر عليه مسكت ولم يدخلها بجيش وعسى ألا يعدم أهلها من خيانة للإمام مهنا".

صغير السن لا يقوم بأمر الدولة وسلمت لهما جميع حصون عمان وقبائلها، وكان هذا في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف سنة (١) فلبثا على ذلك حولاً.

ثم إن القاضي عدي بن سليمان الذهلي استتاب يعرب من جميع أفعاله وبغية على المسلمين، وأن يعرب كان مستحلاً خروجه هذا فإنه يلزمه ضمان ما أتلف لأن المستحل لما ركبه ليس عليه ضمان إذا تاب ورجع، فعند ذلك عقد له الإمامة في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف سنة، فاستقام له الأمر وسلمت له حصون عمان.

٤٢- خروج بلعرب بن ناصر على الإمام:

ولبث أياماً قلائل في الرستاق ثم جاء إلى نزوى فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة فلم يرض أهل الرستاق أن يكون يعرب إماماً فأظهروا العصبية للسيد سيف ابن سلطان فلم يزالوا يكاتبون بلعرب بن ناصر وهو خال السيد سيف بن سلطان، وهو مقيم بنزوى مع الإمام يعرب. فلم يزالوا يحرضونه حتى خرج من نزوى ليلة ست مضت من شوال من هذه السنة وقصد بلاد سيت فحالف بني هناة على القيام معه على أن يطلق ما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله وغفر له من البناء والسلاح وغير ذلك، وأعطاهم عطايا جزيلة فصحبوه إلى الرستاق فاستقام الحرب في الرستاق حتى أخرجوا الوالي منها، وذلك أنهم أحرقوا باب الحصن فاحترق مقدم الحصن جميعاً واحترق ناس كثير من بني هناة من رؤسائهم ورؤساء بني عدي، وفيما بلغناه أنه احترق مائة وخمسون رجلاً واحترقت كتب كثيرة مثل بيان الشرع والمصنف وكتاب الاستقامة وجليات الطلمسات قدر أربعين مجلداً. واحترقت كتب كثيرة ولم يكن لها نظير في عمان. وظهر من هذا الحرق كنز عظيم به

---

(١) ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م.

أموال جزيلة. فبلغ الخبر إلى الإمام يعرب بما صنع أهل الرستاق فبعث سرية وأمر عليها الشيخ صالح بن محمد بن خلف السليمي الأزكوي من حجرة النزار وأمره بالمسيرة إلي الرستاق فسار حتى وصل العوابي فلم يكن لهم قدرة على الحرب فرجعوا.

ثم إن بلعرب بن ناصر كتب إلى والي مسكد ان يخلصها لهم وكان الوالي فيها يومئذ حمير بن منير بن سليمان بن احمد الريامي الأزكوي، يسكن حارة الرحى، فخلصها لهم وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب ثم أخرجوا سرية عليها مالك بن سيف اليعربي فوصل إلى سمايل وفتحها بغير حرب، وأخرج الوالي منها، ذلك في شهر ذي القعدة من هذه السنة وصحبه بنو رواحة فجاء إلى أزكي فأخذها بغير حرب وأخرج الوالي منها وذلك في شهر ذي القعدة من هذه السنة.

ثم إن يعرب خرج بمن معه من أهل نزوى وبني ريام والقاضي عدي بن سليمان الذهلي ووصل إلى أزكي فخرج إليه مشايخ أهل أزكي بالضيفة والطعام، وقالوا له نحن معك فمكث يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن يومين فلم يخرج فنصب يعرب له الحرب فضربه ضربتي مدفع ثم وصلت بلعرب عساكر بني هناءة يقدمهم علي بن محمد العنبوري الرستاقي فتفرقت عساكر يعرب وكثر فيهم القتل ودخلت رصاصة مدفع عند الحرب في فم يعرب فكان ذلك من سوء الحظ، وبقي مخذولاً، فرجع إلى نزوى.

وأما القاضي عدي بن سليمان فإنه قصد إلى الرستاق فلما وصل إليها أخذوه هو وسليمان بن خلفان وغيرهما وصلبوهم وجاءهم من جاءهم من

أعوان بلعرب بن ناصر فقتلهما مصلوبين وسحبهما أهل الرستاق وذلك يوم الحج الأكبر من هذه السنة (١).

ثم مضى صاحب العنبور إلى نزوى وجعل يكاتب يعرب ليخرج من قلعة نزوى ودخل على يعرب ناس من أهل نزوى وسألوه الخروج منها لأجل حقن الدماء فلم يزالوا به حتى أعطاهم ذلك على أن يتركوه في حصن يبرين ولا يعرضوا له بسوء فأعطوه العهد على ذلك فخرج يومئذ من نزوى فزالت بذلك إمامته، ومضى إلى يبرين.

ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى وضرب جميع مدافعها ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان وخلصت له جميع حصون عمان وسلمت لهم كافة القبائل والبلدان، فاستقام أمرهم على ذلك شهرين إلا ثلاثة أيام حتى أراد الله ظهور ما سبق في عمله أنه سيكون على أهل عمان بما غيروا وبدلوا و (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٢) وفي ذلك الامتحان ليظهر المتشبث في دينه المخلص في سريرته ممن زلق في دينه وخالفت علانيته سريرته في علم الله، قال الله جل علاه:
بسم الله الرحمن الرحيم : (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)(٣).

وقال الله تعالى: (ومن الناس من يقولوا امنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله

---

(١) سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م.
(٢) سورة الرعد الاية ١١.
(٣) سورة العنكبوت أيات ١-٣.

بأعلم بما في صدور العالمين. وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين)(١).

وعلم الله هاهنا ظهور ما سبق في علمه من القدر المحتوم فيظهر من كل ذي فعل فعله فيعاقب بما صنع ويثاب بما أطاع "ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى".(٢)

والفتنة هاهنا الاختبار كما يختبر الذهب الإبريز بالنار وقيل عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

٤٣- إمامة سيف بن سلطان وخروج محمد بن ناصر:

فلما استقر الأمر لبلعرب بن ناصر على أنه القائم بالدولة وعلى أن الإمام سيف بن سلطان وفدت إليهم القبائل ورؤساء البلدان ينهونهم بذلك فوقع من بلعرب بن ناصر تهدد على بعض القبائل وخاصة بني غافر وأهل بهلا فقيل إنه لما قدم محمد بن ناصر بن عامر الغافري في جماعة من قومه وقع عليهم تهدد من السيد بلعرب فرجع محمد بن ناصر بمن معه مغضباً وجعل يكاتب يعرب بن بلعرب وأهل بهلا ليقوموا الحرب وركب هو قاصداً إلى البدو من الظفرة وبني نعيم وبني قتب وغيرهم.

وأما بلعرب بن ناصر فقد أرسل إلى رؤساء نزوى ليصلوا إليه فاجتمع كثير من رؤسائها ومضوا إليه فرأوا منه محلاً وكرامة، وأمرهم بالبيعة لسيف ابن سلطان، ثم إنه سير سرية وأمر عليها سليمان بن ناصر أعني أخاه وأمره بالمسير من جانب وادي سمايل إلى يعرب ليأتي به إلى الرستاق، وأمر على أهل نزوى أن يصحبوا تلك السرية فلم يزالوا يتشفعون برؤساء أهل الرستاق

---

(١) سورة العنكبوت ايتا ١٠،١١.

(٢) سورة النجم الاية ٣١.

إليه ليعذرهم من ذلك فعذرهم، ومضت السرية حتى وصلت فرق وباتت فيها، فبعث لهم أهل نزوى بطعام وعشاء، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ضرب المدافع في قلعة نزوى، فسألوا ما الخبر فقيل لهم إن يعرب بن بلعرب دخل القلعة، فعند ذلك رجعوا إلى أزكي وكان بلعرب بن ناصر قد سرى سرية أخرى إلى يعرب وبعثهم من جانب الظاهره فلما وصلوا بهلا قبضهم أهل بهلا وقيدوهم بها، وبعث سرية أخرى إلى وادي بني غافر فانكسرت ورجعت إلى الرستاق .

وأما يعرب فإنه بعث سرية إلى أزكي تسحب مدفعين، فلما وصلوا إلى أزكي ركضوا على الحصن ثم انكسروا وقتل منهم ناس، ورجعوا إلى نزوى، ثم سرى سرية ثانية فوصلوا إلى أزكي فأقاموا بالجني الغربيات يضربون الحصن بمدفع فمكثوا على ذلك قدر عشرة أيام ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى أزكي، فخرج هو وأهل الحصن إلى قوم يعرب فانكسر مالك بمن معه فأغارت البدو من قوم يعرب إلى سدي وحارة الرحى من أزكي فنهبوا من طرفيها وأحرقوا مقام حمير بن منير وكان خارجاً من حارة الرحى ، ثم ركض ولاة سرية يعرب على أهل اليمن من أزكي فانكسروا وقتل والى السرية محمد بن زياد البهلوى وقيل لمالك بن ناصر إن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب حين ركضوا على اليمن فأرسل إلى مشايخ النزار وقيدهم بالجامع من أزكي ثم إنه أرسل إلى أهل الشرقية فجاءت منها عساكر كثيرة وجاء بنو هناة بخلق كثير واجتمعت العساكر بأزكي فركضوا على سرية يعرب وأخرجوا الطبول وأناساً قليلا من جانب المنزلية وخرجت العساكر من جانب العتب يوم الجمعة عند زوال الشمس فكانت بينهم وقعة عظيمة تسمع فيها ضرب التفق(١)كالرعد القاصف وبريق السيوف كالبرق المتراسل، فانكسرت سرية يعرب ووقع فيهم قتل كثير وقتل من الفريقين قدر ثلاثمائة رجل على ما سمعت والله أعلم.

---

(١) التفق: بمعنى البنادق وهي لفظة شائعة في عمان والعراق.

ثم إن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من العساكر وقصد قرية منح وأغارت شرذمه من قومه على فلج وادي الحجر فقتلوا منه ناساً ونهبوا مافيه وأحرقوا بيوتها وقتلوا من قتلوا وتفرق أهلها ، ثم ساروا إلى نزوى ووصلوا إلى مسجد المخاض من فرق فضربوا هنالك معسكرهم وأقاموا محاصرين نزوى وأفسدوا الزروع وأحرقوا سكاكر كثيرة من الحيلى والخضرا وأحرقوا مقامات من فرق وعاثوا في البلاد.

ثم خرج إليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب فوقع بينهم الحرب ثم رجع كل فريق منهم إلى مكانه وقتل من قتل من الفريقين فكانت الحرب والقتل بينهم كل يوم إلى ما شاء الله ، واشتد على أهل نزوى البلاء ثم وقعت بينهم وقعة عظيمة لم نسمع بمثلها إلى ما شاء الله وكادت تكون الهزيمة على قوم مالك إلا أنهم لم يجدوا سبيلاً للهزيمة والهرب إذ قد أحاطت بهم الرجال كحلقة الخاتم بعدما انهزم منهم خلق كثير وبقي من بقي وظنوا أنهم غالبون لا محالة فاشتغل أكثرهم بالنهب والسلب واتكل بعضهم على بعض فعطف عليهم القوم بعزم ثابت وجد واجتهاد فولوا منهزمين فكثر فيهم القتل والجراح واتبعهم القوم يقتلون ويسلبون إلى الموضع المعروف بجنور الخوصة قريباً من جناة العقر فقتل كثير من أهل نزوى في ذلك اليوم.

ورجع قوم مالك إلى معسكرهم ولم تزل الحرب بينهم قائمة بكل يوم ثم أن مالكاً خرج بكافة أصحابه إلا قليلاً تركهم في المعسكر حتى وصل قريباً من جناة العقر فأراد أن يحاصرهم في بستان شويخ وليثقب جدرها لمرمى التفق، فخرج عليهم أهل نزوى فدارت رحى الحرب بينهم ساعة من النهار ثم قتل مالك ابن ناصر فانكسر قومه ورجعوا إلى معسكرهم وأقاموا هنالك إلا أن قوتهم ضعفت بموت مالك.

ولم تزل الحرب قائمة بينهم وبين أهل نزوى حتى وصل محمد بن ناصر الغافري بجيشه من الغربية بعد حروب كانت بها ووقعات عظيمة، منها وقعة بوادي الصقل، ومنها بالجو ومنها بضنك ومنها بالغبي لم أشرحها لشهرتها وخوف الإطالة.

فلما وصل محمد بن ناصر أمر بالركضة على من بالمخاض من العدو فركضوا عليهم وأحاطوا بهم ووقع الحرب والرحى بالتفق من الصبح إلى الليل فلما جن الليل أمر محمد بن ناصر أن يفسحوا لهم من الجانب الأسفل من الوادي ما يلي فرق ففسحوا لهم فأصبح منزلهم من الليل خلاء ليس فيه أحد وتفرقوا، ورجع محمد بن ناصر إلى نزوى وكان الإمام يعرب مريضاً فأقام محمد بن ناصر بنزوى أياماً قلائل وكان الحصار لنزوى قدر شهرين إلا ستة أيام.

ثم ان محمد بن ناصر أمر بالمسير إلى الرستاق فسار إليها بجيش فدخلها ونزل بفلج الشراة وأراد أصحابه أن يركضوا على البومة التي فيها علي بن محمد صاحب العنبور فنهاهم عن الركضة إلى أن ركض صاحب العنبور وأصحابه فأمر محمد بن ناصر قومه فركضوا فوقع بينهم حرب عظيمة فقتل صاحب العنبور وقتل من قتل من قومه وانكسر الباقون ورجع محمد بن ناصر إلى فلج الشراة ودخل في اليوم الثاني إلى فلج المدرى فالتقاه بلعرب بن ناصر طائحاً فصالحة على تسليم قلعة الرستاق وجميع الحصون التي في يده ومضوا جميعاً إلى قلعة الرستاق، فأراد بلعرب أن يخدع محمد بن ناصر وكان محمد فطناً حذراً فأبى أن يدخل إلا أن يدخل جميع القوم فلما دخل كافة قومه دخل هو ووقع من القوم في البلد السلب والنهب والسبي في الذراري حتى إنها بيعت وحملت إلى غير عمان وذلك بما كسبت أيديهم جزاء بما كانوا يعملون، وبما

فعلوا في قاضي المسلمين عدي ابن ناصر والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما فأنفسهم والله سميع عليم.

ومات يعرب بن بلعرب في نزوى وكان محمد بن ناصر بالرستاق لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأخر سنة خمس وثلاثين ومائة وألف سنة (١)وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم العدو نحواً من خمسين يوماً ثم إن محمد بن ناصر أمر بتقييد بلعرب بعدما أمر بلعرب بتخليص الحصون التي بيده ولم يبق إلا مسكد وبركا في يد بني هناة وفي كوت مسكد جاعد بن مرشد بن عدي اليعربي فاحتالوا حتى أخذوه منه وأوصلوه بلد نخل.

وأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأشهر أن الإمام هو سيف بن سلطان وهو مع ذلك غير بالغ الحلم وتفرق أصحاب الرستاق في الجبال والأودية فسمعت أنه وجد بكهف من جانب حلاة المهاليل مائة نفس من صبيان ونساء ميتين من العطش خافوا أن يرجعوا إلى الرستاق فيحملونهم ويبيعونهم، وجاءت كتيبة لمحمد بن ناصر بعد أخذ الرستاق بثلاثة أيامٍ قدر ألف ونصف من بني قليب وبني كعيب أصحاب تفاق ورماح ووصل رحمة بن مطر بن رحمة الهولي بقدر خمسة الاف من بدو وحضر وفيهم من لا يعرف العربية ولا يعرف صديقه من عدوه.

٤٤- الحرب الأهلية أو الهناوية والغافرية:

وكان خلف بن مبارك المعروف بالقصير من أهل الغشب لم يكن بالرستاق وقت الحرب فقهر حصن بركا ومسكد في يده ومعه بنو هناءة فأرسل محمد ابن ناصر علي بن محمد الخروصي ويكنى أبا جامع والياً لحصن بركا فقتل ورجع أصحابه إلى الرستاق مع محمد بن ناصر، فأمر محمد الجيش بالمسير

---

(١) ١١٣٥ هـ - ١٧٢٢م.

إلى بركا فسار رحمة بن مطر الهولي بقومه وحمزة بن حماد بن ناصر ومحمد ابن عدي بن سليمان الذهلي بالقوم الذين جاء بهم من جانب الصير ومحمد ابن ناصر الحراصي بقومه، فسار هؤلاء كل والٍ على قومه حتى نزلوا المصنعة ثم ورد كتاب من قرع الدرمكي من بني هناءة إلى رحمة بن مطر يقول: " إنك لا تصل إلينا فنحن واصلون إليك" على سبيل التهدد، فلما قرأه رحمة وعرف معناه أمر بالمسير إلى بركا، وقدم عيوناً من أصحابه إلى بركا فوجدوا قراعاً وأصحابه مقبلين قاصدين إلى رحمة بن مطر فرجعت العيون وأعلموه أنهم وجدوا قراع وأصحابه مقبلين إليه فالتقاهم رحمة بمكان يسمى القاسم فوثب عليهم قضيب الهولي على فرس والقوم على أثره فقتل منهم عشرة رجال وانكسرت أصحاب قراع وجرح قضيب جرحاً هنياً وسار رحمة مشرقاً بالقوم حتى نزل بالحفرى، التي هي للجبور حتى يستريحوا ويأكلوا.

ثم إنه بعث عيوناً فوجدوا خلف بن مبارك القصير قد طلع بقومه براً وبحراً بجيش لا يعلم عدده إلا الله وكان عدد القوم الذين هم أصحاب محمد بن ناصر خمسة عشر ألفاً من بدو وحضر من سائر القبايل، فالتقوا غربي بركا فوقعت بينهم صكة عظيمة وكانت عند أصحاب رحمة مدافع فضربوا الخشب التي بالبحر فأغرزت الخشب بحراً وانكسر خلف بن مبارك وأصحابه وركب ناقته واتبعهم أصحاب محمد بن ناصر يقتلون ويأسرون فلم يجدوا ملجأ من القتل فكانوا يدخلون البحر ليتخلصوا في المراكب فأغرزت بحراً ولم ينالوها والقوم تضربهم بالتفق فهلكوا جميعاً وأخذوا سلبهم من سلاح وغيره وجميع ما معهم فلفظهم البحر، فوجد جميع القتلى ألف واثني عشر رجلاً. ولم يزالوا يتبعونهم حتى دخلوا حصن بركا ثم نزل أصحاب محمد بن ناصر الغافري بجانب الجبل من بركا فحاصروا الحصن فأقاموا أربعة أيام، ثم إن أهل الحصن تخلصوا في المراكب إلى مسكد، ولم يبق به إلا قليل وليس في البلد أحد.

ثم إن أحمد بن محمد بن ناصر وجيشه رجعوا إلى الرستاق ولم يطمعوا بالحصن ورحمة رجع إلى بلده فأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأصابه جدري شديد حتى خيف عليه منه لشدته ثم عوفي. ثم إنه أمر بالمسير إلى ينقل وجعل محمد بن ناصر الحراصي والياً بالرستاق وعنده أصحاب بهلا وسنان بن محمد بن سنان المحذور الغافري قائماً بقلعة الرستاق، وسار محمد بن ناصر وسيف بن سلطان وهو صغير وحمل معه كافة اليعاربة وبلعرب بن ناصر مقيداً حتى نزل مقنيات وكانت إقامته بالرستاق قدر شهرين، فلما نزل بمقنيات أرسل إلى قبائل الظاهرة وعمان يستمدهم وبني ياس فجاء إليه القوم وأناخوا عنده عساكر كثيرة قدر اثني عشر ألفاً، وكان نزوله بفلج المناذرة من طرف ينقل، فأرسل إلى أهل البلد أن يسلموا له الحصن فأبوا ولم يردوا له جواباً فارتفع وقت الصبح يريد الانتقال منها إلى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحيدث من البطحاء فالتقاه بنو علي بمن معهم من أهل ينقل فوقعت بينهم صكة عظيمة وقتل من بني علي قوم كثير، فالمعروف منهم ابن شيخهم سليمان بن سالم ومن أصحاب محمد بن ناصر، سالم بن زيادة الغافري وسيف بن ناصر الشكيلي كان واحداً من الجرحى، ثم إنه نزل بشريعة المحيدث من الجانب الأعلى وأقام يحاصرهم ويضربهم بالتفق والمدفع ثم وقعت بينهم صكة فقتل خلق كثير وقتل من أصحاب محمد بن ناصر الوالي محمد بن خلف القيوضي وواحد من بني عمه، ثم إنهم كسروا الماء فلم يبق معهم ماء فعند ذلك صالحوا على تسليم الحصن.

ووصل الخبر إلى محمد بن ناصر أن سعيد بن جويد دخل السليف مع الصواوفة من بني هناءة بقومه فأمر القوم بالمسير إلى السليف فلما وصلها أرسل إلى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدوا له الطاعة فأبوا ووصل إليه الصواوفة من أهل تنعم مؤدين الطاعة، ثم إنه أمر بالركضة على حصن المراشيد من السليف فركضوا عليه وهدموه على من فيه من رجال ونساء وأولاد ثم إن

سعيد بن جويد طلب التسيار إلى بلده هو وأصحابه، فسيره محمد بن ناصر وزوده، وبقي بالسليف حصن الصواوفة وحصن المناذرة، فأما حصن المناذرة فلما رأى أصحابه ما أصاب المراشيد صالحوا وأدوا الطاعة لمحمد بن ناصر فسلموا ولم يصبهم بأس وأقرهم مكانهم، وأما الصواوفة فلم يؤدوا الطاعة فأقام فحاصرهم بقطع نخيلهم والقتل فيهم كل يوم، وفسح للبدو من أصحابه إلا بني ياسر وقبائل الحضر، وكان الحصار فوق شهرين ثم إنهم صالحوا على هدم حصنهم بأيديهم فهدموه.

وكان خلف بن مبارك القصير لما رأى محمد بن ناصر مشتغلاً بحرب السليف جمع قوماً وحاصر الرستاق، فلما قتل سنان بن محمد المحذور الغافري القائم بالقلعة خرج محمد ابن ناصر الحراصي وأصحابه من حصن الرستاق بعد شدة القتال؛ وهدموا أبراجاً من الحصن. فعند ذلك خرج محمد ابن ناصر الحراصي ودخله خلف واستقر أهل الرستاق في أموالهم وبيوتهم وكان سباع العمودي قد أخذ حصن صحار ولم ير محمد بن ناصر بداً من الرجوع عن السليف فمضى إلى الرستاق خوفاً منهم أن يتفقوا عليه.

ثم إن خلفاً القصير صار على حصن الحزم وكان الوالي فيه عمر بن مسعود ابن صالح الغافري فحاصره ورد الفلج عنه وأرسل إليه خلف أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان فأبى وكتب إلى محمد بن ناصر يخبره الخبر وأنهم لم يبق معهم ماء إلا بركة قليلة فسار محمد بن ناصر إلى الحزم بعدما صالح أهل السليف وهدم حصنهم بجيش عظيم لم يعلم عدده إلا الله تعالى فلما وصل الحزم ركض على أصحاب خلف فقتل من قتل منهم وانكسر أصحاب خلف وتركوا الة حربهم من باروت ورصاص وطعام ورجع محمد بن ناصر من الحزم إلى الظاهرة وأعرض عن الرستاق وقصد بلادسيت وحشد من البدو والحضر واجتمع معه عساكر كثيرة وسار من الظاهرة إلى بلادسيت فأرسل إليهم ليؤدوا

له الطاعة. فأبوا، فحاصروهم وأمر القوم بالهجوم عليهم فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم ركضوا على العارض وهي لبني عدي فأخذوها وأخذوا غمر وخلصت له البلدان بين هناة من العلو. ولم يبق أحد منهم فالذي قتل قتل، والذي طلب التسيار سيره بأمان، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر عند الركضة على باب بلادسيت قدر عشر رجال وجرح ناسها.

ثم رجع محمد بن ناصر إلى نزوى بمن معه وأقام بها قدر ستة أشهر من الشتاء إلى أن استوى القيظ. وأرسل إلى أهل البلاد من قرية منح أن يؤدوا له الطاعة، فأبوا فجهز لهم جيشاً فحاصرهم وقطع نخيلهم من فلج الفيقين قبل أن يبنى لها حصناً. ثم أدوا الطاعة بعد أن ذهبت أموالهم.

وأخذ في جمع القوم حتى اجتمع معه خلق كثير من البدو والحضر وأمر على أهل الظاهرة أن يسيروا التمر إلى الحزم وصحبهم أهل وادي بني غافر ومن دونهم وسار هو وجميع من معه يريد بلدان العوامر من الشرقية فالتقوا هو والعوامر وال وهيبة من بدو وبني هناة فوقع بينهم حرب عظيمة حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن ناصر ثم إنهم ثابوا وثبتوا فوقعت الهزيمة على بني هناءة وقتل منهم خلق كثير واتبعوهم حتى دخلوا حجرة العاقل فرجع محمد بن ناصر ومن معه غالباً مظفراً وكان في صحبته السيد سيف بن سلطان إلى يبرين.

ثم إن محمد بن ناصر وصل إلى الظاهرة ليجمع قوماً فاجتمع عنده خلق كثير فوصل بهم إلى نزوى وجمع أهل نزوى وأزكي وبهلا وبني ريام وسار بهم إلى سيفم، وأرسل إلى سعيد بن جويد الهناوي ومن معه من أصحاب العقير والغافات أن يؤدوا الطاعة فأبوا فحاصرهم.

ثم خرج سعيد بن جويد ومر على الظاهرة ومضى إلى صحار يجمع قوماً من صحار وينقل، لأن ينقل نكثت الصلح فاجتمع معه خلق كثير، ورجع وجاء إلى عملا "وضم" فلم يزل يضرب في عمان يميناً وشمالاً فتراه يوماً في الشرقية ويوماً في الغربية يغشى أموال خصومه من أعوان محمد بن ناصر، فكل يوم يقال إن سعيداً غشي بلدة كذا، والبعض يصالحه والبعض يخشى عليه ومكث على ذلك مدة طويلة حتى توعثت منه الناس.

فلما وصل فلج العيشي وأراد أن يركض على محمد بن ناصر الغافري وأصحابه وكان مدة غيبة سعيد بن جويد سبعة أيام ومحمد بن ناصر قد فرق العيون في الأماكن خيفة أن يهجم عليه على غفلة فخبرته العيون أن سعيد بن جويد أقبل في جمع كثير فأمر أن يلتقوهم دون البلاد فالتقوا في صدر الغافرات فوقع بينهم حرب عظيمة وقتل سعيد بن جويد الهناوي وقتل من أصحابه غصن العلوي صاحب ينقل وجملة من أصحابه وانكسر الباقون من قومه، وأمر محمد بن ناصر بالغزو في كل بلد بهلا ونزوى وبلدان الظاهرة لإظهار الناموس، وسحب أصحاب محمد بن ناصر سعيد بن جويد بعد أن قتل إلى حصن الغافات وفيه عياله وأولاده حتى لينظروه وليؤدوا الطاعة فأبوا فحاصروهم قدر شهرين وفرغ ما عندهم من الطعام، حتى أكلوا ما عندهم من الأنعام، والقايد لأصحاب محمد بن ناصر مبارك بن سعيد بن بدر لأن محمد ابن ناصر رجع من بعد الصكة إلى يبرين. ثم إنهم صالحوا بعد ما فرغ ما عندهم وقتل من قتل منهم وذهبت أموالهم وكان الصلح على هدم الحصن فهدموه بأيديهم ووصلوهم بأمان. وبقي حصن العقير محارباً لم يؤد الطاعة وفسح محمد ابن ناصر لمبارك بن سعيد بن بدر وجعل مكانه راشد بن سعيد ابن راشد الغافري وأقام محاصراً حصن العقير ومعه أهل بهلا وأزكي ونزوى والظاهرة وبنو غافر وبنو ريام وداروا به فلا يخرج منه أحد ولا يدخل حتى

فرغ ما عندهم فطلبوا الصلح فصالحهم على هدم الحصن فهدموه بعدما تلفت أموالهم ولم يبق لهم نخلة ولا فلج، وقد أكملوا جميع أنعامهم ومواشيهم فعند ذلك صالحوا فأعطوهم الأمان ووصلوهم ورجع القوم كل إلى بلده.

ثم إن خلف بن مبارك جمع قوماً ونزل وادي المعاول وانتقل إلى نخل فحاصرها وكان فيها مرشد بن عدي فمكث أربعة أيام، ثم نزلوا من الحصن فأحرقوه وهدموا منه ما قدروا عليه، ومع ذلك صالحه أهل الجميمي. ثم عقب عليهم من عقب ودخلوها وهرب أهلها إلى سمايل وبعض منهم التجأ في حجرة الجناة مع بني مهلل فاووهم. ثم إن الذين بقوا مع بني مهلل أرسلوا إلى نخل يجيئوا من جانب الحكام فجاءوا بقوم من حيث لا يدري بهم ال مهلل، فدخلوا عليهم على حين غفلة منهم وقتلوا منهم من قتلوا فخرجوا إلى وادي المعاول حتى إن المعاول نصروهم وذمروا لهم الحرب إلى حجرة الجناة فمكثوا يحاربونهم ثلاثة عشر يوماً لا يهفت ضرب التفق حتى إنهم انهزموا من الحجرة وكثر فيهم القتل.

ثم إن المعاول قالوا لا نبغي حجرة في الجناة فهدموها ومكث في نخل مدة من الزمان لم يجد فيها من الأنيس إلا الكلاب والسباع على القتلى. ومن بعد ذلك قسموها على بني هناءة ومكثوا فيها إلى أن ملك سيف بن سلطان بعد أن بلغ الحلم، وأقامه المسلمون إماماً. فعند ذلك سلموها لأهلها وذلك الوقت أدان تخليج النخل فصاروا يتوسلون بالقاضي ناصر بن سليمان المدادي من نزوى فجاءوا بخط إلى المعاول فسلموها لهم.

ثم إن محمد بن ناصر جهز جيشاً من البدو والحضر فقصد به بلدان الحبوس من الشرقية من المضيبي والروضة، والتقى بجيش خلف بن مبارك القصير والحبوس وغيرهم من بني هناءة بالمضيبي فوقع بينهم حرب عظيمة وانكسر خلف بن مبارك وتحصل في حجرة المضيبي فحاصرهم محمد بن

ناصر وقطع أموالهم فطلبوا الصلح والأمان، فامنهم وأدوا الطاعة ولم يعلم محمد ابن ناصر أن خلف بن مبارك معهم في الحجرة فجاءه من جاءه وأخبره أن خلفاً معهم بالحجرة فلم يستحسن أن ينكث عهده وصلحه.

ثم خرج خلف من المضيبي هارباً فأتبعه محمد بن ناصر بجيشه حتى وصل إبرا ودخل خلف إبرا ولم يظن أن محمد بن ناصر يتبعه إلى إبرا فأقام مع الحرث فأرسل إليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا الطاعة ويخرجوا خلفاً من عندهم فأبوا فأقام على حربهم كل يوم يقطع نخلهم ويدمر أنهارهم فظنوا أنهم ليست لهم قوة على حرب محمد بن ناصر فأخرجوا خلفاً من عندهم خفية، وكان خلف رئيس بني هناءة كافة ومضى إلى مسكد، ثم إنهم صالحوه بعد خروج خلف وأعطاهم محمد بن ناصر الأمان ورجع عنهم وخلصت له جميع الشرقية وأقام في يبرين وكانت أكثر إقامته بها.

ثم إنه سار إلى الظاهرة وجمع منها خلقاً كثيراً وغرب بهم ولم يعلم من قومه أحد أين يريد فمر ببلدان بني نعيم وجمع بني ياس وبني نعيم وغيرهم وسار بهم على نجد الجرى ومر على بلدان بني قليب فصحبه من صحبه منهم ومر على خط الباطنة حتى خاف منه أهل صحار فلم يغشهم، ثم شرق فخاف منه أهل فلج الحواسنة أن يدمر واديهم واصحابه يأخذون كل ما وجدوا من إبل وغنم وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو، فعلم به خلف بن مبارك القصير فالتقاه عند أفلاج عرعر فوقعت بينهم صكة عظيمة فولى أصحاب خلف هاربين وحصل خلف في بيت واتبعه محمد بن ناصر بقومه ولم يعلم به أنه في ذلك البيت، وظن خلف أن محمداً تركه بعد القدرة عليه فدخل محمد بن ناصر الرستاق وجعل يدمر أنهارها ويكاتبهم ان يؤدوا الطاعة فأبوا ودمر فلج الميسر وفلج بو ثعلب والحمام وقطع شيئاً من النخل ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه حتى إنهم أرادوا أن يؤدوا له الطاعة فجاء إلى محمد بن

ناصر خبر أن راشد بن سعيد الغافري أخذ حصن مقنيات والوالي فيه مبارك ابن سعيد بن بدر وذلك حسداً منه لمبارك لتقدمه مع محمد بن ناصر. فأمر بالنهوص من الرستاق وتركها بعدما دمر أنهارها، ثم إن علي بن ناصر بن أحمد الكلباني مضى إلى راشد بن سعيد وناصحه وخلص له الحصن وضمن له أن لا تصيبه عقوبه من محمد ابن ناصر فقبض علي بن ناصر الحصن إلى أن وصله محمد بن ناصر فترك فيه مبارك والياً وترك معه الحواتم وسار قاصداً إلى يبرين فمكث بها ما شاء الله.

٤٥- مبايعة محمد بن ناصر بالإمامة:

ثم فصل بمن معه إلى نزوى وأرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عمان وشرقها فاجتمعت إليه جموع كثيرة فطلب إليهم أن يبرأ من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين، وأن يقيموا من أرادوا مع السيد سيف بن سلطان واعتذر إليهم فلم يعذره القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد والوالي بحصن نزوى عبدالله بن محمد بن بشير بن مداد ومن حضر من المشايخ من رؤساء القبائل ولم يزالوا في معالجة هذا الأمر وغلقت أبواب حصن نزوى والعقر فلا يدخل أحد ولا يخرج يومهم ذلك وليلتهم حتى قريب الفجر وعقدوا له الإمامة وضربت مدافع قلعة نزوى ونادى المنادي بالإمامة له والعز والأمان لكل قبيلة تدخل نزوى وتريد المواجهة من يمن ونزار ومن بدو وحضر وكان هذا ليلة السبت لسبع ليال خلون من الشهر المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وألف سنة(١) فمكث بنزوى حتى صلى الجمعة وارتفع بمن معه إلى يبرين وفسح للقوم. وأقام بها قليلاً.

---

(١) ١١٣٧هـ = ١٧٢٤م.

وبلغه أن مانع بن خميس العزيزي هجم على الغبيّ وقهر ونهب سوقها وأفسد فيها فسار اليه وغدف عليهم الحصن ومعه ستة رجال فلم يشعروا به إلا وهو في أعلى الحصن ، فخرج مانع العزيزي ومن معه هاربين خوفاً ورعباً منه وقتل خادم لمانع بن خميس وأخذ الحصن وجعل فيه واليا ورجع إلى يبرين .

وأغار مهنا بن عدي اليعربي وعامر بن سليمان بن بلعرب الريامي وسليمان ابن حمير بن علي اليعربي على غالة البركة فأخذوها فعلم محمد بن ناصر الغافري بهم فقصد إليهم وأرسل إلى القاضي ناصر بن سليمان والوالي عبد الله ابن محمد ليلحقوه بالقوم من نزوى إلى البركة ، ولم يغش هو نزوى ولم يكن عنده إلا قليل من عسكره وخدامه فهجم عليهم وقت الضحى ولم يرد قتالهم وناصحهم على الرجوع ورد ما أخذوا من الغالة فأبوا إلا قتاله وحربه فصنعوا بومة في مسجد الشريعة الأعلى من البركة ، وقبضوا الجبل الشرقي وكسروا فلج البركة وصنع الإمام محمد بن ناصر بومة في مسجد الأسفل من شريعة البركة وجبل الأسفل فكان بينهما ضرب بالتفق وقتل رجل من عذاب الركاب من أصحاب محمد بن ناصر وجرح رجل ، ثم إنه أمر أصحابه بالركض عليهم فولوا منهزمين وأسر منهم ناصر بن بلعرب الريامي وعلي بن صالح صاحب كمه وكان هذا قبل أن يصله أحد من المدد . وأمر بالتمر أن يحمل إلى يبرين، ورجع هو إلي نزوى وأقام بمساجد الغنتق منها وكان أراد حرب أهل تنوف وخرابها ثم أصلح الله شأنهم وواجهوه وأخذ منهم عهوداً أن لا يخونوه فطابت عليهم نفسه.

ثم أمر بالحشد على جميع من بطاعته من أهل عمان فاجتمعت إليه جموع كثيرة فسار بهم من نزوى يريد ضنكا ليرجع الوحاشا إلى بلدهم ويبني لهم حصنهم بضنك الذي دمره عليهم حين كانوا في طاعة خلف بن مبارك ، فلم

يرض ال عزيز برجوعهم إلى حصنهم وبنيانه فجمعوا أحداً من البدو وممن يشتمل عليهم وأرادوا حربه ومن معه من الوحاشا فالتقوا بضنك ووقعت الحرب بينهم ثم انكسروا وتبدد شملهم وعلموا أنهم ليست لهم قوة على حربه .

وقصد مانع بن خميس إلى السنينة مع النعيم فمضى في طلبه مع ناس قليلة من أصحاب الخيل والركاب السيارة فلم يشعروا به إلا وهو معهم فأمر مانع بن خميس ورجع إلى ضنك ، فلما رجع يريد الغبىّ مر على أفلاج بدو ال عزيز الذين نهبوا سوق الغبىّ فدمرها ورجع إلى الغبىّ وأقام بها ما شاء الله ، ثم حشد من قبائل الظاهرة من شاء من القوم وقصد يبرين فأقام بها أياماً قلائل وجاء إلى نزوى فنزل بيت المزرع يجمع قوماً منها ، ثم مضى إلى أزكي وأخذ منها قوماً ومن جميع الشرقية فخافت منه بنو رواحة .

ثم إنه قصد سمايل فلم يزل يناصح البكريين وأهل الحيلي وقوم عكاشة فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة صالحوه وأدوا له الطاعة فأرسلهم إلى البكريين ليناصحوهم فلم يقدروا عليهم فأمر بالركضة عليهم في ليلة شاتية مظلمة مطيرة ذات برق ورعد فلم يشعروا به إلا وهو في أعلى السور مع الحارس يقول له على من تحرس ؟ فقال: مخافة أن يهجم علينا محمد بن ناصر فقال هذا محمد بن ناصر عندك، فخذل أهل الحجرة وخرج الأكثر منها بأمان منه ولم يبق إلا برج وشيء من الغرف فيه بكر وأولاده وبنو عمه فكانوا يضربون بالتفق حتى قتلوا عن اخرهم ، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر أربعة أحدهم يقال له بخيت النوبي مملوك له كان قدمه على ساير العبيد ضرب بتفق ، وهدمت الحجرة عن اخرها وسلمت سمايل زكاة ثلاث سنين وكان قبل قد أفسد فيها ال عمير وحازوا أموال الأغياب فرد محمد ابن ناصر كل مال إلى أهله وقيد أولاد سعد بو علي وهدم حجرتهم .

ثم إنه أمر بالمسير إلى الجبل من الباطنة ليقطع لخلف بن مبارك القصير حين نهوضه من مسكد إلى الرستاق، فكان محمد يصل هو ومملوك له إلى الغبرة ، ثم علم خلف بن مبارك أن محمد بن ناصر قاطع له فلم يخرج من مسكد وجعل الحرس على الطرق والأسوار ولم يكن له قدرة على ملاقاة محمد ابن ناصر وأقام محمد بالحيل قدر نصف شهر وصالحه المعاول ثم نكثوا ، ثم رجع إلى سمايل .

ذلك أن المعاول وقعت بينهم وبين خلف بن مبارك شرهة وعتاب ، وأخلوا عليه حصن بركا وأرسلوا إلى محمد بن ناصر فهبط والتقوه المعاول وعاهدوه على أن يخربوا مسكد ، ثم إن محمد ارتفع مغرباً فظنوا أنه يريد حصن بركا فساروا ونزلوا الحراري وكان نزول المعاول وسط قوم محمد بن ناصر ، فجعلوا خادماً لهم يعمل طعاماً وفرشوا فرشهم وسار كل اثنين منهم نحو الخور ليصلوا المغرب أو العصر حتى خرجوا كلهم متسللين لواذا فدخلوا حصن بركا ليمنعوه من محمد بن ناصر، وأما ركابهم فإنهم جعلوا عليه أطناباً وقالوا له سر كأنك تسير نحو الفلاة فما لبث حتى دخل بهم وادي المعاول ، وأما محمد بن ناصر فإنه أرسل إلى المعاول فأخلفوا من متاعهم في عسكره وارتفع هو إلى سمايل .

وحمل أهله ورجع يريد البدو من عامر بن ربيعة وأهل سعلى ومن يشتمل عليهم من سكان الباطنة فعقر عليهم إبلا كثيرة فكان راكباً على فرس وبيده كتارة (١) ورمح يضرب يميناً وشمالا يقطع أعناقها ويعرقب أرجلها ولم يرض لأحد أن يأخذ منها ووصل إلى فريق من فرقانهم وقتل رجالهم فصاحت نساؤهم الأمان ياخلف بن مبارك إنا في طاعتك يظنونه خلفاً ، فأكثر في قتلهم

---

(١) الكتارة: السيف العماني وهو سيف ذو حدين.

وهو أمام القوم ولم يلحقه إلا أصحاب الخيل والإبل السيارة، والسيد سيف بن سلطان معه لا يفارقه في جميع حروبه وغزواته .

ثم رجع إلى الحزم فأقام بها أياماً قليلة ورجع إلى سني من وادي بني غافر فأقام به أياماً ورجع إلى يبرين وكان أكثر إقامته بها وكانت البدو قد أفسدت جميع الطرق من عمان ينهبون ويقتلون فلا يقدر أحد أن يسافر إلى مكان إلا في جماعة كثيرة وخاصة ال وهيبة ولهم رئيس يسمونه بو خرق، فسار إليهم وحشدهم بجميع أهلهم وإبلهم وغنمهم وأمرهم بالنزول حوالي يبرين وذلك قهراً منه لهم حتى ماتت إبلهم وغنمهم ولم يقدروا على مخالفته ،فلما كان ليلة أحد عشر من شهر الحج خرج بمن معه من القوم قاصداً آل وهيبة فدمر بلدهم السديرة وقتل من فيها فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان وخرابها ليس فيه ماء يظنون أنه لا يتوصل إليهم لقلة اهتداء الحضر بتلك الأماكن وقلة دلالتهم بمواردها فمضى إليهم هناك وقتل ستة وثلاثين رجلاً من أكابرهم وأسر خمسة وتسعين رجلاً وقتل إبلهم وأغنامهم وحمل الأسارى إلى يبرين مربوطين في الحبال ، وأما أبو خرق فإنه قصد مسكد ودخل مع بني هناة وقيد محمد ابن ناصر الأسارى بيبرين حتى مات عامتهم ، وأقام في يبرين شهراً وأرسل أبو خرق إلى محمد بن ناصر أنه لا يضر أحداً ولا يفسد ومن ذلك اليوم إلى يومنا هذا لم نسمع بأحد نهب ولا سلب في طريق من طرق عمان من شرقها وغربها.

ثم إنه بعد ذلك أمر بالحشد على جميع من أطاعه من عمان من غربها وشرقها فاجتمعت إليه في يبرين جموع عظيمة لا يعلم عددهم إلا الله وأرسل إلى بلدان بني هناة من وادي العلا والحيل وضم وعملا فأطاعته جميع بني هناة لم يعصه أحد وسار قاصداً إلى ينقل ونزل في أعلى البلد وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن فأبوا وشدوا الحرب فخرج ذات ليلة رجل من أهل ينقل يقال له عصام فصالح محمد بن ناصر إلا أن البلد ليست في يده، فقال له:

ناصح جماعتك لأجل حقن الدم فلم يتبعوه وأقاموا الحرب وكان بيت عصام على السور وله باب صغير ، فأدخل محمداً ومن معه البلد فقتل من أهل البلد رجلين ثم طلبوا الأمان فأمنهم وقيد أشياخهم وحملوا إلى يبرين وترك فيها والياً وأدت له الطاعة ومضى قاصداً بمن معه إلى صحار.

وقدم ربيعة بن حمد الوحشي ليناصح بني عمه حتى يهبطوا من حصن صحار فلما وصلهم قال لهم شدوا الحرب ، فلما دخل محمد بن ناصر صحار التقته بنو هناة فوقعت بينهم الحرب وقتل من قتل منهم وخرج ربيعة بن حمد وأخذ أسيراً ، وانكسرت بنو هناة ورجعوا إلى الحصن ونزل القوم بالجامع ومحمد بن ناصر في بيت بن محمود ، وشاور محمد بن ناصر ربيعة بن حمد فقال له إن أردت أن تقيم معنا فعليك الأمان ، وإن أردت أن تسير إلى أصحابك بالحصن سيرناك بأمان ، فأراد المسير إلى الحصن فسيره وكان مع محمد بن ناصر اثنتا عشرة فرساً وكان يجعله عيوناً تطالع المشرق لأنه بلغه أن خلف بن مبارك جمع بني هناة من الرستاق ومسكد وأنه نزل بحصن صحم .

٤٦ – نهاية زعيمي الفتنة:

وكان محمد بن ناصر قد خلصت له جميع صحار ورعاياها وأمّن أهل البلد من جميع الطوائف فلم يؤخذ على أحد منه شيء وكانت عنده البدو من بني ياس وبني نعيم ومن أشتمل عليهم من الحضر ، فأصبحت ليلة من الليالي وقد خرب زرع دخن من طوى من البلد ، فجاء صاحبها إلى محمد شاكياً فسأله من خرب زرعك؟ فقال بنو ياس والنعيم والبدو الذين عندك فقال كم غرامة زرعك، خذ مائتي محمدية فأبى، فقال خذ أربعمائة محمدية فابى، فقال خذ خمسمائة فابى، فقالا لا أرضى إلا أن تنصف منهم ، فأرسل إلى أشياخهم فحضروا عنده فأمر بهم فصلبوا وما كانت نصفته إلا الجلد فجلدهم جميعاً وهم يستغيثون به فلم يغثهم إلى أن انقضت النصفة فأطلقهم من الحبال وكانت هذه حيلة من بني

هناءة لينفر البدو، ثم إن البدو خرجوا من عند محمد إلى بلدانهم راجعين فعلم خلف بن مبارك بخروجهم فزحف بمن معه من القوم على قوم محمد بن ناصر وهجموا عليهم على حين غفلة بعد أن طلعت الشمس قليلا فجاء من جاء إلى محمد بن ناصر أن خلفاً وصل بمن معه من بني هناءة فقيل إنه حرك رأسه وقال هذه ساعة ليست لنا ولا لهم إلا ما شاء الله ، ثم ركب فرسه وركب أصحاب الخيل معه والتقوا خلفاً ومن معه مع باب حصن صحار فوقع بينهم القتال فقتل خلف بن مبارك فانكسرت بنو هناة ومحمد بن ناصر يتبعهم حتى وصل جدار الحصن فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن ضربة تفق وأخذه أصحابه ومات، وقتل من أصحابه خمسة عشر رجلاً لم نذكر أسماءهم ورجع أهل مسكد والرستاق وأقاموا بعد ما دفنوه ثلاثة أيام(١) لم يعلم بموته إلا الخاصة، وقد كاد أصحاب الحصن أن يسلموه ثم إنهم رجعوا بالسيد سيف ابن سلطان إلى نزوى فأقامه القاضي إماماً للمسلمين يوم الجمعة بعد زوال الشمس في العشر الأولى من شعبان سنة أربعين ومائة وألف سنة من الهجرة.

إنتهى المقتبس من كتاب كشف الغمة

***

(١) جاء في كتاب قصص وأخبار جرت في عمان للمعولي ما يلي:-
فأما خلف فقد قبر في الحصن. وأما محمد بن ناصر فقد قبر في غربي الحصن عند حجرة الشيعة.
كل أحد إلى بلاده، وقال قائلون إن أحداً أخرج محمد بن ناصر من قبره ورماه خارج البلاد والله وحساب الفريقين مع الله.

(٢) ١٠ شعبان ١١٤٠= ٢٣ اذار ١٧٢٨م.

الفصل السابع
في ذكر نهاية اليعاربة (*)

٤٧- إمامة سيف بن سلطان وبلعرب بن حمير:

كان سيف بن سلطان هذا لم يفارق محمد بن ناصر لأن محمداً كان يحمله معه في جميع حروبه ومواقفه وسياسة منه وطمعاً في انقياد الناس له بسببه ، فلما قتل محمد بن ناصر بصحار طلع به بنو غافر إلى القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد في نزوى ونصبوه إماماً إذ صار بالغ الحلم يوم الجمعة أول شهر شعبان سنة أربعين سنة ومائة ألف سنة، ومكث ما شاء الله ثم عزلوه (١) وأقام المسلمون السيد بلعرب بن حمير إماماً لهم(٢). فتبعته فرقة من عمان وخلصت له سمايل وأزكي وبهلا ونزوى ونخل والشرقية وحصون الظاهرة وأما حصون الباطنة ومسكد والرستاق فإنها في يد سيف بن سلطان، ثم جهز الإمام بلعرب جيشاً إلى وادي بني رواحة وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان ومن معه من القوم نصرة لبني رواحة، فوقع بينهم الحرب وانكسر بلعرب بن سلطان وقومه وانهزم أكثرهم وبقيتهم تحصنوا في حجرة وبال فحاصرهم الإمام أياماً يقطع نخيلهم إلى أن أدوا له الطاعة وفسح للقوم وأمنهم وارتفع عنهم بعدما هدم بروجهم.

ثم سار إلى بلاد سيت فحاصرها أياماً وافتتحها وهدم بنيانها وقطع نخيلها ودمر أنهارها. ثم سار إلى حصن يبرين وكان به بنو هناة تركهم فيه سيف بن سلطان فحاصرهم إلى أن أدوا له الطاعة فسيرهم بأمان هم وعيالهم ومتاعهم

(*) وهو القسم الأخير من كتاب العولي وما قبل الأخير من كتاب المؤلف المجهول.

(١) كان عزله في عام ١١٤٥هـ = ١٧٣٢ ميلادية.

(٢) هو بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب اليعربي.

وأوصلهم إلى بلدانهم، وأما سيف بن سلطان فإنه بعث إلى أهل مكران فجاءه قوم من البلوش أصحاب التفاق وحشد من معه من رعيته من الرجال وسار بهم إلى الجو(١) فالتقاهم الإمام بلعرب بن حمير بقومه فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كادت أن تقع الهزيمة على أصحاب الإمام بلعرب فصبروا فوقعت الهزيمة على أصحاب سيف والبلوش وانكسروا ووقع فيهم القتل والنهب في الطرق ومنهم من مات من العطش.

٤٨- الاستعانة بالفرس.

ثم إن سيف بن سلطان جعل يكاتب الأعداء من العجم لينصروه في ظنه وهم يريدون ملك عمان وخرابها فأجابوه فنزل جيش العجم بخورفكان اخر ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومائة وألف(٢) وقصدوا الصير فخرج سيف بن سلطان من مسكد إليهم وحشد بلعرب بن حمير ومضى ليتلقاهم وخرج من نزوى أول شهر المحرم سنة خمسين ومائة وألف(٣) والتقى الجيشان بالسميني: سيف وعجمه والإمام بلعرب ومن معه وذلك في غرة شهر صفر سنة خمسين ومائة وألف ووقع بينهم حرب قليل اخر النهار وانكسر بلعرب وقومه واعتصموا بالجبل وقتل ناس قليل وبعضهم ضل الطريق وقتل بعضهم في الطريق ولم يرجع أحد منهم بدابة ولا سلاح ولا بشيء من حوائجهم إلا قليل منهم ونهبوهم في الطريق واستولى سيف بن سلطان على الجو وضنك والغبي وأدت جميع قبائل الظاهرة خراجاً عظيماً للعجم ودخلت حجرة عبري ووقع فيهم قتل عظيم وسلب جميع مالهم

---

(١) الجو هي توام أي البريمي.

(٢) ويوافق منتصف نيسان عام ١٧٣٧.

(٣) يوافق أول محرم من عام ١١٥٠ هـ يوم أول مايس ١٧٣٧.

وحملت نساؤهم وقتلت الأطفال وأصابهم ذل وهوان وبيعت نساؤهم وحملت إلى شيراز ورجعت العجم إلى الصير.

وأما سيف بن سلطان بن سيف فإنه مر إلى بهلا ووقع الحرب بينهم وبينه ثم تصالحوا وولى عليهم والياً وهو سالم ابن خميس العبري ومضى فبات في طيمسا فقيل إن أكثر العسكر من نزوى هربوا من الحصن، وكاد بلعرب بن حمير أن يخرج هارباً من نزوى إلا أن سيفاً لم يقصد نزوى ومضى إلى منح ومر على أزكي وقصد إلى سمايل وأناخ بفلج العد وكاتب قبائل وادي سمايل ليصل إليه مشايخهم فلم يلبث أن واجهوه فسار مجاوزاً إلى مسكد ولم يتعرض للحصون ثم بعد ذلك وقع الحرب بين والي الغبي من قبل سيف بن سلطان وبين بني غافر واستولت بنو غافر على الغبي ووقعت المخادعة من أهل بهلا وأدخلوا بلعرب بن حمير الحصن واستولى على بهلا.

ثم إن سيف بن سلطان زاد قوماً من العجم من شيراز وضمهم مع اصحابهم في الصير وتوجهوا إلى عمان وذلك في اليوم التاسع عشر من شوال سنة خمسين ومائة وألف وصالحتهم قبائل الظاهرة ووصلوا إلى بهلا فوقع بينهم الحرب وقتل من العجم كثير وكذلك من أهل بهلا ودخلت العجم بهلا في ثالث عشر من ذي القعدة واستولوا عليها فهرب من هرب من أهل البلد وقتل من قتل من الرجال والنساء والأطفال واستولوا على جميع ما فيها وتركوا في الحصن رابطة ومضوا إلى نزوى أول شهر الحج.

وهرب بلعرب بن حمير من نزوى إلى وادي بني غافر وثبتت بنو حراص في قلعة نزوى وصالح أهل نزوى العجم فلما تمكنت العجم من نزوى وضعوا عليهم الخراج وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا الرجال والنساء الكبار والأطفال الصغار وحملوا من النساء من أرادوه وفعلوا في نزوى أفعالاً قبيحة وأذاقوهم

أليم العذاب حتى قيل إنهم قتلوا من أهل نزوى مقدار عشرة الاف من النساء والأطفال ولم يسلم من أهل نزوى إلا من قدر على الهرب وهم قليل والله المستعان.

ولم تقدر العجم على القلعة والحصن من نزوى وخرجوا منها في سادس عشر من الحج ومروا على أزكي فصالحوهم وأدوا لهم الخراج وأقاموا يوماً وليلة ومضوا قاصدين إلى الباطنة ودخلوا مسكد في أربعة وعشرين من ذي الحجة واحتووا على البلد وما فيه ولم يبق سوى الكيتان واقاموا محاصرين الكيتان إلى يوم خامس من صفر سنة إحدى وخمسين ومائة وألف(١) وانكسروا ومضوا إلى بركا وصحار فرد شر سيف عليه، جاء ليقهر بهم صديقه الذي يزعم أنه عدوه فطلبوا قهره بنفسه وحاصروا حصونه وهرب هو عنهم في مراكب في البحر حتى نزل ببركا وخرج إلى الطو وتلقوه أهلها بغزوة وصحبوه إلى نخل وسار إلى الظاهرة والتقى هو وبلعرب بن حمير بوادي بني غافر ودار نظر من حضر من مشايخ بني غافر وغيرهم أن يستعفوا بلعرب ابن حمير عن الإمامة ويرجعوها لسيف بن سلطان نظراً منهم عن الفرقة في عمان والفتن وليجتمعوا جميعاً على عدوهم العجم فجعلوا الإمامة لسيف بن سلطان.

٤٩- تغلّب سيف بن سلطان على الأمر:

أما العجم الذين قعدوا في بهلا فإنهم لما أبطأت عنهم أخبار أصحابهم في مسكد وانقطعت عنهم اخبارهم بعثوا منهم نحو مائة فارس ليأتوا إليهم بخبر أصحابهم من مسكد فمروا على سمايل أول النهار يوم ثامن من شهر صفر فتلقاهم أهل وادي سمايل وحمير بن منير بقومه فقتلوا أكثرهم ثم سار حمير

---

(١) يوافق ٥ صفر عام ١١٥١هـ اليوم ٢٦ من مايس عام ١٧٣٨م.

ابن منير بمن معه من العسكر وأهل أزكي وبنو ريام إلى بهلا يوم تاسع عشر صفر ودخلوها يوم واحد وعشرين واستولوا عليها وتحصن العجم في الحصن فحاصروهم ثم خرج منهم قوم فقتل أكثرهم وبقي من بقي من العجم لم يخرجوا من الحصن خوف القتل إلى أن جاءهم سيف بن سلطان ومن معه فأخرجوهم بسلاحهم ومتاعهم ودوائهم وأوصلهم بأمان وأصحبهم مبارك بن مسعود الغافري(١) إلى صحار.

وكان أحمد بن سعيد البوسعيدي والياً على صحار من قبل سيف بن سلطان فقيل إن العجم لما وصلوا صحار حبسهم أحمد بن سعيد بصحار حتى مات أكثرهم وإن ذلك من أول الأمور التي ظهر بها أحمد بن سعيد، وأما العجم الذين انكسروا من مسكد فإنهم ساروا إلى الصير وفيها إخوانهم وركب منهم ناس إلى بلدانهم وبقيت منهم بقية بالصير إلى يومنا هذا.

وسار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البر وسير إليهم المراكب من البحر فلما وصل بلد خت قرب الصير جاءه الخبر ان مركب الملك قد احترق وغرق بمن فيه وذلك يوم الجمعه لتسع عشرة ليلة خلت من شهر شوال من عام ١١٥١هـ. فعزم على الرجوع فرجع عنهم إلى عمان وبقوا هم بالصير ودانت له جميع حصون عمان وأدت له الرعية الطاعة فلبث على ذلك ثم ظهرت منه أحداث لم يرضها المسلمون ولا رضوا مبدأ أمره ولا منتهاه وحط الخراج على الرعية.

٥٠- إمامة سلطان بن مرشد:

فاجتمع من شاء من مشايخ العلم من بهلا ونزوى وأزكي ورؤساء القبائل من بني غافر وغيرهم من أهل الظاهرة ووادي سمائل ومشايخ المعاول فقعدوا الإمامة إلى سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي بجامع نخل ليلة الحج أي ليلة

(١) ذكره ابن رزيق بإسم مبارك بن سعيد الغافري. أنظر الصحيفة القحطانية.

عرفة سنة أربع وخمسين ومائة وألف(١)فاستقام بحمد لله على الحق والعدل وخلصت له الحصون من سمايل ونخل وازكي ونزوى وبهلا والشرقية وسالمته القبائل من الفريقين والحمد لله كثيراً.

ثم جهز الإمام جيشاً إلى الرستاق وسار فيه بنفسه وكان سيف بن سلطان قد جمع قوماً كثيراً من أهل الرستاق وغيرهم خارجاً عن البلد نحو ثقاب فلج الميسر يريد لقاء الإمام فلما أحس أن لا طاقة له بحرب الإمام انهزم ليلاً عن أصحابه وترك بعض المؤنة من تمر وغيره فلما وصل الإمام صباح الجمعة اخر شهر شعبان لم يجد سيفاً ودخل الإمام الرستاق فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة لما رأوه أهلا للإمامة وازروه واحتوى على جميع رعاياها ولم يبق إلا الحصن فلبث في حصاره سبعين ليلة وافتتحه وقد كان سيف ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله.

ثم سار سيف بن سلطان إلى مسكد وجمع قوماً من المطرح ومسكد والسيب وبركا، ولبث ببركا فبعث إليه الإمام بعض قومه وأمر عليهم أخاه سيف ابن مهنا إلى بركا فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه فاقتتلوا فقتل من قوم الإمام قليل وقتل من أصحاب سيف بن سلطان كثير ولم ينج إلا من انهزم أو ألقى بما في يده وأذعن بالطاعة للإمام.

وأما سيف بن سلطان فإنه انهزم إلى مسكد ورجع سيف بن مهنا إلى الرستاق منصوراً من الخلاق ثم جاءت لسيف بن سلطان ثيبة من بدو الظاهرة مقدار خمسمائة رجل فيما قيل فلما وصلوا الحزم طلع هو من مسكد وأقام يجمع قوماً من الباطنة فجاءته عساكر كثيرة من عامر ربيعة مرادهم نصرته وكان من قضاء الله وقدره السابق في عمله أن البدو الذين معه اقتتلوا وقتـــل

(١) توافق ليلة الحج لعام ١١٥٤هـ منتصف شباط من عام ١٧٤٢ ميلادية.

من عامر ربيعة كثير وانهزم الباقون منهم وبقي البدو الذين من الظاهرة مع سيف بالحزم يزعمون دخول الرستاق ثم إنهم لم يجدوا قدرة على ذلك فرجعوا إلى بلدانهم.

وأما سيف فإنه لما أيس من الناصرين سار إلى مسكد وترك عياله وعبيده محصورين وذلك قبل فتح حصن الرستاق للإمام فلما ايس من في الحصن من نصرة سيف لهم أرسلوا يطلبون الصلح من الإمام والأمان ليخرجوا بما عندهم من المتاع فأمنهم الإمام وخرجوا من الحصن ودخل الإمام الحصن في اثني عشر من ذي القعدة من هذه السنة(١) وجعل في الحصن والياً ومعه عسكر من جنابه وجعل معهم اخاه سيف بن مهنا ثم ارتفع منها بعد خمسة أيام ببقية قومه وحشد من الرستاق ومر إلى نخل وحشد منها ومن رعاياها قوماً، ثم وصل إلى بدبد وحشد من وادي سمايل ومن أزكي ورعاياها وسار متوجهاً إلى مسكد يوم الخميس ثاني ذي الحجة من هذه السنة وقد اجتمع عنده قوم كثير فلما وصل إلى روي ليلة رابع من هذا الشهر ترك المعقل في روي فسار بأكثر قومه ليلا إلى مسكد وركض عليهم بقومه على الجبال فأحدروهم من الجبال وجميع المقابض وهزمهم الله وافتتح الإمام مسكد بجميع مقابضها ومعاقلها وقت الضحى من يومه سوى الكيتان فإنهما بقيا محاربين، وأما كوت المطرح فبعث له الإمام بعض القوم في تلك الليلة فأخذوه قهراً وحباه الله من لدنه نصراً.

٥١- عودة الفرس إلى عمان:

أما ماكان من سيف بن سلطان فإنه ركب البحر وبعث له الإمام مراكب في طلبه فيهن بجاد بن سالم وعسكر من قوم الإمام فجاءتهم ريح وفرقت المراكب دون خور فكان ورجع بجاد بمن معه، ثم إن سيفاً انكسرت من مراكبه بعض

(١) سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٣م.

دقالته وأجرى أخشاباً توصله إلى خور فكان ونزل بها ومعه قدر ثمانية أنفس على خيل قاصدين العجم فقيل إنه لما علمت العجم بوصوله أتاه قوم منهم على خيل وأخذوه وساروا به إلى الصير وبقي المركب في خورفكان فأخذه أحمد ابن سعيد البوسعيدي.

أما ما كان من سيف بن سلطان فإنه أقام مع العجم بجلفار وهي الصير وكاتب أهل شيراز ليأتوه بقوم فجاءوا إلى عمان ونزلوا بصحار وهم مقدار عشرين ألفاً فيما قيل والله اعلم، فعلم بذلك الشيخ أحمد بن سعيد بن أحمد ابن محمد البوسعيدي وهو يومئذ والٍ بصحار وهو في ذلك اليوم في بلد العوهي ونزلت العجم حول حصن صحار وحاصروه حصاراً شديداً حتى كاد الحصن أن يتهدم من شدة ضربهم إياه بالمدافع حتى قيل إن رصاصة المدفع كل رصاصة خمسة أمنان وستة أمنان وثلاثة أمنان بالمن المسكدي، فحاصروه وبنوا فيها بنياناً قوياً وكان الإمام سلطان بن مرشد محاصر الكيتان بمسكد وفيهن عبيد سيف بن سلطان، فأرسل الإمام أخاه سيف بن مهنا إلى وادي سمايل والظاهرة فأخذ منهم قدر خمسمائة رجل أو أكثر فوق من معه وساروا إلى صحار ووقع الحرب بينهم ليلاً ونهاراً وقيل إن في يوم واحد ضربت العجم ألفاً واثنتي عشرة ضربة مدفع فعلم الإمام بذلك فسار هو وأخوه سيف بن مهنا إلى الظاهرة فحشدوا منها من بدو و حضر.

(م١٠ – كشف الغمة)

٥٢- العجم يغزون المطرح:

ثم إن العجم ومن معهم من عبيد سيف بن سلطان أوجب نظرهم أن يغزوا مطرح، وكان فيها الإمام سلطان بن مرشد، وكان يرسل كل يوم عيونا إلى جانب ساحل الغبرة لما علم أن بإرادتهم غزو المطرح، وفي العيون ناجم بن راشد الهندي على خيل، فرجع إليه ناجم ان العجم أقبلوا إلى روي فأمر الإمام بضرب الطبل لجمع العساكر واجتمع عنده قوم لا يعلم عددهم إلا الله، حتى خرج من المطرح فقامت القوم ترجع عنه إلى ان وصل خراشيف مطرح وجد قومه بقدر خمسة واربعين رجلاً، فوقف الإمام دون الخراشيف والعجم بسيح الحرمل هبطوا عن خيلهم وتركوها سائمة وزحفوا على الإمام ومن معه، فطلع عليهم سالم بن سليمان بن أحمد بن رمضان السروري من الجبل الشرقي وأحذرهم منه ورجع إلى الإمام وقال إن العجم انكسروا وأحمل عليهم بمن عندك من الرجال، ورجع سالم بن سليمان إلى الجبل وأحذرهم منه وصاح عليهم بالحملة وانكسر العجم ومن معهم ووقع فيه القتل وقتل أخ الإمام سلطان ابن مهنا وكان ذلك قبل صلاة الفجر. ولما بان الفجر رجع عنهم الإمام من عند حصاة السائس بعدما قتل منهم خلقاً كثيراً ورجع لمطرح منصوراً وأخذوا منهم خيلاً كثيراً.

ثم إنه بعد مدة من الأشهر رجع العجم للمطرح وعندهم مراكب ولم يكن عند الإمام أخشاب بها تقاوم أخشاب العجم، ولم تكن له قدرة على حربهم بحراً فعزم الرجوع عن حصار الكيتان ودبر لأصحابه الذين هم محاصرون الكيتان وهبطوا من المقابض ولما وصلوا نهض من المطرح راجعاً بعد أن ناظر المسلمين في الرجوع عنها والخروج منها لأنه لم يقدر على أمر من الأمور إلا بمشورة أهل العلم.

٥٣- منازلة الجيش الفارسي حول صحار:

ولما رجع عن المطرح ومسكد عزم على إيفاد جيش إلى صحار يثبت الشيخ أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي فأخذ في جمع العساكر من وادي سمايل ونخل ووادي المعاول والرستاق والشرقية وأزكي ونزوى وبهلا والظاهرة من بدو وحضر، وسار فيهم بنفسه وأخوه سيف بن مهنا وترك بوادي سمايل الشيخ محمد بن ناصر الحراصي وعنده سالم بن سليمان ومن معه لمقابلة العجم الذين بمسكد لأن عبيد سيف بن سلطان خلصوا الكيتان للعجم بأمر سيف بن سلطان ووقعت الغزوات بين العجم واهل وادي سمايل والإمام توجه إلى صحار بمن معه من جانب الظاهرة، ولما أن وصلوا إلى طلائع صحار عزم الإمام على محاصرة العجم في بنيانهم وأرسل للشيخ احمد بن سعيد أن يخرج من الحصن ليلتقوا عليهم ليقاتلهم، فلم يكن للقوم صبر ولا نظر للإمام وأخيه إلى اخر الليل، ركض قوم الإمام على أردو العجم أعني بنيانهم(١) وصاحوا صيحة عظيمة فسمع الإمام الصيحة فسأل عن ذلك فقيل له إن قومك ركضوا على العجم فلم يمكنه الوقوف عنهم فركب خيله هو ومن معه وأخوه وجميع صناديد قومه ودخلوا الأردو وأوقعوا القتل في العجم إلى أن أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح، ولم تبق من العجم إلا شر ذمة قليلة وذلوا وطلبوا الأمان من الإمام والشيخ أحمد بن سعيد والسيد محمد بن سليمان بن عدي اليعربي لأنه بصحار عند الشيخ أحمد بن سعيد بقومه الذين دبرهم الإمام لنصرة الشيخ أحمد بن سعيد.

وكان من قضاء الله وقدره ليقضي الله أمراً كان مفعولاً أن فرقة من العجم بقدر خمسمائة فارس خرجوا من صحار إلى جانب صحم ولما سمعوا بالإمام وصل إلى صحار أو وصلهم رسول من أصحابهم (الشك مني) رجعوا إلى

---

(١) الأردو هو معسكر الجيش ومنه سميت لغة أهل الباكستان الأردو أي لغة معسكرات الجيوش.

صحار عند أصحابهم ودخلوا الأوردو عند إعياء الناس، وأكثر قوم الإمام إشتغلوا بالنهب والسلب حيث ظنوا أنهم ظافرون.

ثم إن العجم طلعوا البروج الذين بالأوردو وقاموا يرمون الإمام وأصحابه بالبنادق كالرعد القاصف فقتل السيد سيف ابن مهنا أخ الإمام وصالح بن محمد الحضرمي الوالي الأكبر، ومحمد بن صالح الإسماعيلي وأحمد بن سليمان المزروعي وكثيرمن قوم الإمام لا أحصيهم عدداً، وأصابت الإمام ضربة بندوق بالصدر والله أعلم.

وكان راكباً على حصان جيد يقال له ولد شاهين فرادفه السيد محمد بن سليمان اليعربي عليه وخرجوا من الأردوا طالبين حصن صحار هم والشيخ أحمد بن سعيد البوسعيدي ومن معه من سائر القوم ودخلوا حصن صحار لا فرحين ظافرين، بل إن الإمام أثقل من الجروح وصار ينوح على أخيه، إبن سيف بن مهنا وابن صالح بن محمد وابن محمد بن صالح وابن فلان وفلان، إلى أن امتنع عن الطعام والشراب من شدة حزنه عليهم وتوفاه الله إلى رحمته والمسلمون عنه راضون وله مؤازرون، ولم نعلم أن أحداً من المسلمين تكلم بعيب في إمامته، وهو إمامنا ولينا وجزاه الله عنا وعن الإسلام خير وأفضل ما جزى إماماً عن رعيته.

وكانت وفاته بحصن صحار نهار الخميس سبعة وعشرين من شهر ربيع الأخر من شهور سنة ست وخمسين سنة ومائة سنة وألف من الهجرة النبوية الإسلامية(١) وقبر في حصن صحار وقبره معروف مشهور عندهم بالفضل والله أعلم.

---

(١) ٢٧ من شهر ربيع الاخر عام ١١٥٦ يوافق ٢٠ حزيران عام ١٧٤٣م.

٥٤- إمامة السيد بلعرب بن حمير:

ثم إن الشيخ الوالي أحمد بن سعيد لما ايس من الناصر والمعين صالح العجم على تسليم المركب السلطاني الذي أخذه من خور فكان من سيف بن سلطان وتسليم ما فيه من المال، لأن سيف بن سلطان حمل فيه مالاً جزيلاً وأسلحة وفرشاً وغيرها، وثم صالحهم على ذلك وبقي الوالي أحمد بن سعيد بصحار ومحمد بن سالم بن صالح الندابي في بركا والعجم بمسكد وكل وال في حصنه ومكانه على حاله الأول إلى أن اجتمعت الأشياخ من عمان وأوجب نظرهم على إقامة السيد بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف اليعربي، واجتمع الأشياخ في قرية نزوى وعقدوا له الإمامة وذلك في يوم العشرين من شهر ربيع الاخر من شهور سنة سبع وخمسين سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة(١) وذلك بعد ملكه الأول واستقام أمره بعمان وخلصت له الحصون من عمان بهلا ونزوى وأزكي وحصون الشرقية وحصون وادي سمايل، وأما حصن صحار في يد الوالي أحمد بن سعيد وحصن بركا خلصه الشيخ الوالي محمد ابن سالم بن صالح الندابي السليمي كذلك بيد أحمد بن سعيد وابن عمه الوالي خميس بن سالم البوسعيدي ولبث ما شاء الله من الزمان.

وأما ما كان من سيف بن سلطان فإنه رجع إلى حصنه الحزم وبقى مريضاً ما شاء الله وتوفاه الله من دار الدنيا إلى دار الاخرة. وأما أخوه بلعرب بن سلطان بقي عند العجم بشيراز ما شاء الله.

ثم إن العجم الذين بشيراز لما ايسوا من أصحابهم الذين بمسكد ولم تصلهم أخبارهم عنهم كتبوا إليهم كتاباً بتخليص الكيتان بيد بلعرب بن سلطان وأرسلوه إلى عمان فتحصل في الأخشاب وتوجه إلى عمان فلما أن علم الإمام

---

(١) ١١٥٧هـ = ١٧٤٤م.

بلعرب بن حمير بذلك توجه إلى مسكد وجمع قوماً كثيراً ودخل مسكد وأرسل للعجم الذين هم بالكيتان أن يؤدوا له طاعة وأن يسلموا له الكيتان فأبوا عن ذلك ونصبوا الحرب فحاصرهم الإمام بلعرب بن حمير أشد الحصار أياماً ورجع عنهم بغير صلح وذلك من قضاء الله وقدره السابق في علمه أنه سيكون في خلقه.

ثم بعد أيام وصل بلعرب بن سلطان من عند العجم فالتقاه الوالي الشيخ أحمد بن سعيد في بركا لأن بندر أهل عمان صار في بركا والعجم بمسكد مثل المحصورين، ولما وصل بلعرب بن سلطان في بركا تلقاه الوالي أحمد بن سعيد بالكرامة وحمله من الساحل على خيل مزيناً بجميع الزينة وأدخل الحصن على حال جميل وبقي أياماً على ذلك، ولما أن أراد المسير إلى عند أهله بالحزم طلب الشيخ أحمد بن سعيد منه المكاتيب التي من عند العجم بتخليص الكيتان فأبى عن ذلك وأراد الشيخ الوالي أحمد بن سعيد حمله إلى صحار، فلم يجد بداً من ذلك فأعطاه المكاتيب وخرج بنفسه على حال جميل مكرماً محشماً، ثم إن الوالي أحمد بن سعيد أرسل إلى العجم الذين هم بالكيتان ليخرجوا منهن وأن يسلم لهم بعض المال وسارت الرسل، بينهم محمد بن مشرف الشيحي ومن معه فتم أمرهم على ذلك وعزموا على النزول منهم ثم إن الوالي أرسل بن عمه خميس بن سالم بما اتفقوا عليه من المال وأخشاباً تحملهم فلما وصلهم الشيخ خميس بن سالم نزلوا بما أرادوه من الكيتان في الأخشاب وتوجهوا إلى بلدانهم إلى عدال بركا تلقاهم الوالي أحمد بن سعيد وأنزلهم من الأخشاب لحال الضيافة والكرامة، فنزلوا ودبر الوالي للأخشاب الذي فيهن ما حملوه من الكيتان وغيره فأنزله في بركا وقيد خانات العجم زين الشيخ والسلطون عميد ابن عمش والباقين منهم صاروا أشتاتاً منهم من خرج إلى بلدانهم ومنهم من بقي بعمان إلى يومنا هذا ومنهم من قتل وذلك من فضل الله ووجود أحمد بن

سعيد بن أحمد البوسعيدي ولو لم يكن هو بصحار وقاتلهم لدخل العجم عمان مثل الأول وتملكها، لأن مرادهم ملكها وخرابها وهلاك أهلها، بل صدهن عنها رب العباد والشيخ أحمد بن سعيد جزاه الله عنا خيراً وذلك مشهور عند أهل عمان كافة.

رجعنا إلى خبر الإمام بلعرب بن حمير. ثم إن الإمام بلعرب بن حمير بدت منه أحوال أنكرها عليه المسلمون وحبس أشياخ عمان بنزوى مثل الشيخ حبيب ابن سالم وصالح بن ربيعه الرويحي ومحمد بن سالم بن صالح الندابي السليمي وغيرهم ثم إنه أرسل إلى الشيخ راشد بن عبدالله الغافري وأكرمه وأعطاه عطايا جزيلة وأراد منه قبض ابن عمه الشيخ الأجل مجاد بن سالم بن مجاد الغافري المشهور عند أهل عصره بالعفة والشجاعة وامله على ذلك امالاً طويلة فعاهده على ذلك ثم إن راشد بن عبدالله توجه إلى قبض ابن عمه الشيخ مجاد بن سالم فوصل إلى بلده فوجدوه هنالك بلا سلاح، فظن أنهم أضياف وصلوا إليه فتلقاهم بالكرامة، فلما وصل إليهم أخذوه وقبضوه وأوثقوه كتافاً وكروا راجعين إلى نزوى مجدين السير عن أن يلحقهم الطلب وضاعت شيمهم وذمامهم ولم ينظروا في قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " والعار في رجل يقود رفيقه قود الذبيحة في يد الجزار"، وهو كثير من مثل هذا إلى أن أوصلوه إلى الإمام بلعرب بن حمير فأخذه وقيده ورماه بسجن ضيق بقلعة نزوى وتوفاه الله بالسجن رحمه الله.

وكذلك قيد عامر بن سليمان الريامي إلى أن توفاه الله ثم إن أهل الظاهرة لم يزالوا يكاتبون الإمام لملك الظاهرة وتخليص حصونها وعاهدوه على ذلك فاطمأن قلب الإمام بقولهم، وركن إلى الخروج للظاهرة بعدما أخذ منهم العهود والمواثيق فخرج من نزوى بمن عنده من الرجال وتوجه للظاهرة ولما وصل الغبي واجهه أهلها وتشاوروا على قبضه فأخذوه وقبضوه وأوثقوه كتافاً بعد أن

عاهدوه وأرادوا قتله، فلم يرض أصحاب الشيخ أحمد بن سعيد لأن عندهم بالظاهرة كثيراً من بني غافر فأخذوه وقيدوه وتركوه عندهم بالسجن وتفرق أصحابه عنه ولما أن قيدوه أرسل أهل نزوى للشيخ أحمد بن سعيد أن أقبلوا إلينا بمن عندك من القوم لنخلص لك نزوى، فأرسل إليهم ابن عمه خلفان بن محمد بن خلفان البوسعيدي وعنده قوم كثير، ولما وصلوا نزوى أرسلوا القائم بالقلعة وهو من ال يعرب غاب عني أسمه أن يسلم القلعة فلم يرض بذلك ونصب الحرب فحاصروه أياماً وطلب الأمان فأمنوه وخرج منها بما عنده من الالة والسلاح ودخلها الوالي خلفان بن محمد واستقام أمره بها واستراحت الرعية في ولايته.

ثم من بعد مدة أشار عليه أحد من الناس بحرب أزكي وكان فيها والي واحد من بني غافر، الله أعلم مسعود بن علي ولد بليس أو غيره (الشك مني) فأخذ في جمع القوم وتوجه إليها ودخلها ونصب الحرب للحصن وطال الحصار وضربوا الحصن بالمدفع وهدموه إلا الأقل منه وطال عليهم الحصار وقل عليهم الطعام وأرسلوا إلى بني غافر يريدون وثبة منهم، فلم يصل إليهم أحد من الظاهرة فطلبوا الأمان فأمنهم الوالي خلفان بن محمد وخرجوا من الحصن بما عندهم وأوصلوهم إلى بلدانهم ودانت له الرعية.

ثم إن بني غافر أخرجوا الإمام بلعرب بن حمير من السجن وتوجهوا به إلى جانب الباطنة وفيهم الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر الغافري ومانع بن خميس النعيمي وراشد بن حميد وأولاد الهندي ومبارك بن مسعود الغافري وخميس ابن سالم ولد حارث وكثير من مشايخ بني غافر والبدو والحضر، ووصلوا إلى وادي سمايل وأخذوا الإمام بلعرب بن حمير صحبتهم وأخذوا من وادي سمايل من أرادوه الشيخ سالم بن سليمان ومن عنده وتوجهوا إلى نزوى فعلم بذلك الشيخ الوالي خلفان بن محمد والوالي عبدالله بن محمد بن عبدالله

وحشدوا قوماً من الشرقية من بدو وحضر، وتواقعوا هم وقوم الإمام بلعرب ابن حمير بقرية فرق وصح القتل في الفريقين ورجع كل فريق إلى بلده والإمام بلعرب بن حمير سار للظاهرة وبقي بها وانتقل إليها بأهله وخلفان بن محمد رجع إلى نزوى.

***

الفصل الثامن

في ظهور الإمام أحمد بن سعيد الالبوسعيدي (*)

٥٥- مبايعة السيد أحمد بن سعيد بالإمامة:

وبعد أيام دار نظر أهل العلم حبيب بن سالم ومن معه من الأشياخ على إمامة السيد أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيد وحضر الأشياخ كلهم بالرستاق وعقدوا له الإمامة ليلة الاثنين وثلاث وعشرين يوماً من شهر جمادى الأخرة من شهور السنة اثنتين وستين سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة(١) واستقام له الأمر وخلصت له حصون عمان سوى حصن الحزم عند أولاد سيف بن سلطان وحصن نخل عند السيد محمد بن سليمان بن عدي اليعربي، وأكثر ال يعرب بها وملك عمان وسار فيها سيرة حسنة.

ثم إن أهل الحزم بدت منهم أحوال غير جائزة وأضروا أهل الرستاق من النهب والسلب والسرقة، فأرسل إليهم الإمام أحمد بن سعيد أن يكفوا عن أصحابهم فأبوا عن ذلك وازدادوا عتواً وطغياناً فسار إليهم بقومه ودمر فلجهم وجذ نخلهم ورجع عنهم، ثم إنهم لم يرجعوا عن غيهم فزحف عليهم بقومه وحاصرهم أشد الحصار وطال الحصار عليهم ثم تحرك أهل الظاهرة ووصلوا إليهم تائبين بقوم كثير. ولما وصل الحزم خرج قوم الإمام منها وأصلح الله شانهم.

ثم أختلفت الكلمة بين سيدنا محمد بن سليمان وسيدنا الإمام أحمد بن سعيد أعزه الله ونصره فعزم على حربهم وحشدوا قوماً من بدو وحضر ومن

(*) وهو القسم الأخير من كتاب تاريخ عمان للمؤلف المجهول.

(١) يوافق ٢٣ من شهر جمادى الأخر سنة ١١٦٢هـ اليوم العاشر من شهر حزيران (يوليو) عام ١٧٤٩م.

الشرقية، وتوجه إلى نخل ودخلها ونصب الحرب للحصن وضربوه بالمدافع حتى انهدم أكثره ثم إن السيد محمد بن سليمان سار للظاهرة وجمع قوماً من الظاهرة من بدو وحضر ورجع إلى نخل لنصرة أصحابه ولما وصلوا نخل خرج الإمام منها وأصلح الله حالهم بعد ذلك.

ثم إن سيدنا الإمام أحمد بن سعيد توجه إلى ينقل ومكث بها مدة من الأشهر، وخرج مبارك بن مسعود الغافري لوادي سمايل والسيد بلعرب بن حمير وعلي بن ناصر اليعقوبي إلى نزوى وعندهم قوم كثير وحاصروا نزوى، فعلم إذ ذاك الإمام أحمد بن سعيد وجمع قوماً وتوجه إلى وادي سمايل وكان مبارك بن مسعود ومن معه من اليعاربة بالسعادي فزحف عليهم بقومه وانكسروا وقتل زعيم القوم مبارك بن مسعود ومن عنده قوم كثير، ودخل الوادي وواجهوه مشائخهم ببومة وعفى عنهم ولم يؤاخذهم بما فعلوا، وكانت هذه الواقعة يوم الأثنين التاسع من شهر صفر من شهور سنة ١١٧٦هـ(١).

ثم توجه إلى نزوى وواجهه السيد بلعرب بن حمير وعلي بن ناصر بقرية فرق، وقتل السيد بلعرب بن حمير وعلي بن ناصر وانكسر قومهما بعدما قتل من الفريقين خلق كثير، وكانت هذه الواقعة يوم السبت ١٤ من شهر صفر من هذه السنة(٢). ودخل نزوى على حال السلامة وتلقوه أهلها بالكرامة بعد أن رأوه أهلا للإمامة، ورجع منصوراً متوجاً محبوراً ظافراً وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

ثم من بعد ذلك بمدة سنتين أو ثلاث دبر ولده سيدنا هلال بن الإمام إلى

---

(١) يوافق ٩ صفر عام ١١٧٦هـ اليوم الثلاثين من اب (أغسطس) عام ١٧٦٢م.

(٢) وبهذا انتهى حكم اليعاربة الذي دام قرابة مائة وأربعين عاماً من عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م إلى ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م.

السر وهي الغبي ليخلصوا له معاقلها، وسار إليهم ومكث عندهم مدة من الأشهر وخلصت له الغبي وأقام فيها والياً بن عمه مسلم بن عمير بن محمد، ووصل عنده كبار بني غافر ومشايخهم الشيخ ناصر بن الإمام محمد بن ناصر ومسعود ابن علي ومن معهم لا أحصيهم بأسمائهم وواجهوه بمسكد وساروا بصحبته إلى الرستاق على حال جميل مكرمين محشمين إلى أن وصلوا إلى الرستاق فأشار من أشار على سيدنا الإمام بقبضهم فقبضهم وقيدهم، ولا يخلوا الشيخ ناصر ابن محمد من ذلك، وأرسلهم إلى مسكد. فلما وصلوا إلى مسكد وكان الوالي بها يومئذ خميس بن سالم بن محمد البوسعيدي أمر بحملهم إلى الكيتان فحملوهم وقيدوهم وأصبحوا ميتين ولم نعلم بما وقع عليهم والله أعلم بهم وذلك تقدير من العزيز الحكيم، ليقضي الله أمراً كان مفعولا، والله في عباده سر خفي لأن الفتنة كالنار اليسيرة تحرق الأشياء الكثيرة. والفتنة أشد من القتل، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وأسباب موتهم من الله ليقضي به ما أراد في خلقه.

ولما علم بنو غافر بموتهم حاصروا الوالي السيد مسلم بن عمير بن محمد البوسعيدي وأحاطوا به فعلم مولانا الإمام أحمد بن سعيد بحصارهم فأرسل إليهم أن يكفوا عن ذلك فلم يقبلوا صرفاً ولا عدلاً، فأخذ في جمع الأقوام من يمن ونزار ومن كافة عمان الشرقية، وصحبه كافة الولاة وكافة السادات عبدالله ابن محمد والي سمد الشان، وأخوه سيدنا المعظم خلفان بن محمد ووالي بهلا مهنا بن محمد بن خلفان ومن قدر الله، من كافة عمان لم أحصيهم عدداً لكثرة عددهم وخوف الإطالة وكانوا مقدار ثلاثين ألفاً، وتوجهوا إلى الغبي وهي السر فلما وصلوا السليف أراد مولانا الإمام المقيل بالسليف وأبى محمد بن عيسى ابن علي النيري ومحمد بن سليمان العني ومن معهم من الأقوام إلا الدخول والنزول في الغبي، فالتقوهم الأقوام بمكان يسمى سيح الطيب وتصادمت الأقوام

وانكسر قوم مولانا الإمام أعزه الله بحيث أنهم خالفوا أمره، ووقع فيهم القتل ويقال إن من قتل من قوم سيدنا الإمام بلغ ستة آلاف فيما رواه الراوي وأكثرهم مات عطشاً من شدة الحر، وكانت جملة خيل وركاب فيما قيل. ولم يطلبوهم بنو غافر حيث إنهم اشتغلوا بالنهب والسلب وذلك في شهر ربيع الثاني أو الجمادى سنة ١١٨٥(١).

ووصل سيدنا الإمام وعبدالله بن محمد والوكيل وصلوا سالمين والحمد لله رب العالمين ولم يقتل منهم سوى مهنا بن خلفان بن محمد وعبدالله بن سالم بن مبارك من ال البوسعيد.

وأما ما كان من الوالي مسلم بن عمير لما أن رجع الإمام عنه وايس من الناصر والمعين أرسل إليهم يطلب منهم الأمان وأمنوه وخرج بجميع ماله وعياله وبما عنده على حال جميل، ولم يتعرض له أحد بسوء ووصلوا على أمان إلى حيث أراد من الأمكنة.

٥٦- حملات فارسية جديدة ونصرة البصرة:

وفي زمان سيدنا الإمام أحمد بن سعيد أراد أن يتعرض كريم خان رئيس العجم وخانهم وأراد أن يسير قومه على عمان المحروسة وأرسل بقدر ستة الاف وعبروا إلى الجزيرة ووصلوا إلى بلد سعيد بن قضيب الهولي وهي جزيرة لنجة، فعلم مولانا الإمام وأرسل أولاده وبني عمه سيد خلفان بن محد الوكيل، وخلفان بن محمد الوالي الأكبر ، ومن معهم من سادات البوسعيد والتقوا بتلك الجزيرة وحصروهم بها، وطلبوا الأمان بعد عجزهم عن مصادمتهم فاحتلوها وعبروهم بالأخشاب إلى برهم في أمان ولم يغنموا منهم مالاً ولا خيلاً ولا سلاحاً.

---

(١) أي شهر تموز او اب عام ١٧٧١م.

ثم من بعد ذلك أرسل (١) أخاه صادق إلى البصرة وحاصرها حتى ملوا الحصار فأرسل أهل البصرة إلى سيدنا الإمام يريدون منه النصرة فامنهم بالأقوام والمراكب بقدر ثمانين مركباً محملاً أدوات ووناجي (٢) وأرسل فيهم أولاده سادتنا قيس وسيف ابني الإمام احمد ومعهم الشيخ الأكبر ماجد بن سعيد بن قاسم المعري الحارثي البرواني.

فلما وصلوا جهة البصرة وجدوا العجمي قد صنع سلسلة من حديد أعظم ما يكون وركبها من البر في البحر إلى البر قاطعة على أهل عمان. فلم يجدوا سبيلاً لدخول البصرة فأقاموا هنالك إلى أن أعانهم الله برحمته وجنده إذ ما كانت ليلة من الليالي إلا والسلسلة انقطعت من البرين جميعاً ووصلت إليهم بأخشابها الحاملة لها، فظنوها قوماً عبروا إليهم بالبحر فضربوها بالمدافع فلم ترجع عنهم فبان لهم أن السلسلة قطعها الله وأوصلها إليهم، فبان لهم النصر والفتح ودخلوا البصرة والمدافع تضربهم من البرين وضربهم مدفع بركان يسمى جردلان وفيه مدفع كبير كل رصاصة سبعة أمنان مسكد أو ستة، ودخلوها على حال جميل.

وطال قيامهم بالبصرة ولم يصل إليهم أحد من المدد من جانب سلطان البرين وخاقان البحرين عبد الحميد خان ولا من عند باشا بغداد وقل الزاد عليهم والمعاش وطالت عليهم المدة فرجعوا عنهم على حال جميل وكان القائم بالبصرة سليمان باشا (٣) وثامر بن سعدون شيخ المنتفج ورئيسهم وكبيرهم، وكان يقول للشيخ ماجد بن سعيد ماجد ياخوي ماجد نحن سقماء وانتم

---

(١) المقصود هنا هو كريم خان رئيس العجم.

(٢) لعل " وناجي" جمع ونج وهي لفظة إنكليزية تعني الالة الرافعة.

(٣) هو سليمان اغا متسلم البصرة، والذي صار فيما بعد والياً على بغداد باسم سليمان باشا الكبير، وكان الحصار عام ١٧٧٦م.

حكماء داوونا والمعافي هو الله، وكثير من أخبارهم لم أذكرها لشهرتها وخوف الإطالة.

٥٧- تمرد أولاد الإمام على أبيهم:

رجعنا إلى أخبار أولاد سيدنا الإمام وهم سعيد وسيف وسلطان. فقد اختلفت الكلمة بينهم ونزغ الشيطان - لعنه الله - بينهم، فوصلوا إلى مسكد وقبضوا الكوتين وأخرجوا منها العسكر القائمين فيها من جانب مولانا الإمام أحمد بن سعيد، وكان القائم لمسكد والياً سيدنا الثقة خلفان بن محمد الوكيل، وكان زائراً اخاه الوالي عبدالله بن محمد بسمد الشان فبلغه الخبر فرجع إلى مسكد ووصل سيدنا الإمام إلى مسكد، وصح الاتفاق بينه وبين ولديه أن يكون الكوتان بيدهما عاقبة لزمامهما عن الحوادث، وكان ذلك منهما بأسباب أخيهما سعيد ابن الإمام حيث إن سيدنا الإمام ولاه نزوى وأزكي وسمايل وأكثر حصون عمان، ثم ساروا سادتنا الوكيل وسيف بن الإمام لمواجهة سيدنا الإمام في بدبد، ولما واجهوه قبض ولده سيفاً وقيده وحمله للرستاق، وسار الصلح بينه وبين أولاده ليتخلص له الكوت الميراني وهو كوت الغربي ويفسح لولده سيف فخلصوه وفسح لولده سيف وبقيا مدة من الأشهر ولهما حصن بركا فوصل إليهما أخوهما سعيد بن الإمام على أمان فقبضاه وقيداه وحملاه إلى الكوت الجلالي وهو الكوت الشرقي، وبقي مدة مقيداً، وأقام مولانا الإمام أحمد بن سعيد الحرب للكوت الجلالي وأحاط به من كل مكان بالمدافع والبنادق، وركب له بوم براً وبحراً، وكان في كوت الجلالي الشيخ المعظم جبر بن محمد بن محمد الجبري خال أولاد الإمام وأقام الحرب مدة إلى أن في بعض الليالي عامل سيدنا سعيد خادم من خدام الإمام يقال له سالمين منح مملوك الإمام وكان عندهما بالكوت وأخرجه ليلاً من جانب البحر بحبل وأوصله إلى جزيرة مسكد وفيها سيدنا الإمام فاستبشر بقدومه وخلاصه غاية

البشرى وحباه الله عزاً ونصراً، وكان القيد أعظم ما يكون والحلق التي برجليه كل واحدة بقدر نصف من مسكد أو أقل.

واستقام الحرب ليلاً ونهاراً إلى أن خرج من الكوت أكثر القائمين وبقي الشيخ جبر فيه وسادتنا لا قدروا على الوصول إليه لا من البحر ولا من البر.

ثم وصل المشايخ سلطان بن محمد بن سلطان البطاشي والشيخ علي بن المصطفى المدني ساكن ريام ومن معهما من المشايخ والشيخ ماجد بن سعيد والله أعلم ومن معه وناصحوا الشيخ جبر أنك أخرج على أمان بجميع ما عندك وكان هو مريضاً من ألم برجليه لا يقدر عليهما فقال لا أقدر أخرج إلا بنظر من أولاد الإمام. فكتبوا لهما طروساً وتوجه إليهما الشيخ علي بن المصطفى وناصحهما وقبلا النصيحة وأمروه بالخروج من الكوت وخرج على حال جميل وأوصلوه إلى بركا في الأخشاب بجميع ماعنده من رجال ومال، وبقي في بركا أولاد الإمام هما ومن معهما إلى أن قدر الله خروجهما من عمان إلى جانب مكران، وقصدوا إلى عند نصير خان وأعطاهما بلداناً ومكثا هنالك على حال جميل.

٥٨- وفاة الإمام:

وبعد بعض المدة مرض سيدنا الإمام وتوفاه الله من دار الدنيا إلى دار الاخرة وذلك يوم الأثنين ١٩ من الشهر المحرم سنة ١١٩٨ (١) وسادتنا لم يصلوا من جانب مكران فعقدوا الإمامة لأخيهما سيدنا سعيد بن الإمام وذلك ليلة ٢٣ والجمعة من الشهر نفسه.

---

(١) يوافق ١٩ محرم عام ١١٩٨هـ اليوم ١٤ من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٧٨٣م.

٥٩- إمامة سعيد بن الإمام أحمد:

ثم وصل سادتنا أعزهم الله سيف وسلطان ابنا الإمام أحمد بن سعيد إلى عمان من جانب مكران، فوجدا والدهما متوفياً، والإمام أخاهما سعيداً، فأقاما برهة من الزمان ولم يكن بينهم اتفاق وصفاء هم وسيدنا سعيد، والشيخ جاعد ابن خميس بن مبارك الخروصي عاهدهما على دخول نزوى ووصل الشيخ جاعد وقبض العقر هو ومن معه وسيدنا الإمام بنزوى وخرج منها هارباً على فرس أو حصان او مطية، وسيدنا سيف ابن الإمام لم يتفق له وصول إلى نزوى من معان شتى لم أشرحها لشهرتها وخوف الإطالة.

وسيدنا سعيد وصل إلى سمد الشان وجمع قوماً من الشرقية وسار بهم إلى نزوى فخرج الشيخ العالم جاعد بن خميس منها والقوم حاصروا سمد الكندي وخرج الشيخ عبدالله بن محمد الكندي وارتقى الجبل وهدموا له بيته من سمد الكندي وفسحوا للقوم واستقام أمره علىذلك.

ثم إن سيدنا سيف بن الإمام ركب إلى السواحل ودخلها وخرج سيدنا سيف إلى جزيرة لامو وتوفاه الله بها ورجع سيدنا حمد بن الإمام سعيد إلى مسكد وقبض مسكد ومات سيدنا الإمام والده(١)، وبقي مدة قليلة وتوفاه الله عن علة الجدري. واحترق مركب سيدنا الإمام المسمى الرحماني بمكلا مكة.

٦٠- تغلب السيد سلطان بن الإمام على الأمر في عمان:

ثم إن سيدنا الإمام ولى بن أخيه علي بن هلال مسكد فبان خلاف لسادتنا قيس وسلطان بما كان من علي بن هلال وتوجه سيدنا المعظم سلطان بن الإمام إلى عند أخيه قيس مناظراً فلم يجد عنده حركة لوصول مسكد، فقال له سيدنا

---

(١) هنا خطأ كبير، فالإمام سعيد قد عمر طويلاً، ولم يمت إلا في منتصف حكم السيد سعيد ابن سلطان في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وما سيأتي من كلام المؤلف يقطع بحياة الإمام سعيد بعد هذا التاريخ.

سلطان أما أنا لا بد لي من وصول مسكد إلى عند السادة خلفان بن محمد وولده محمد فقال له كن كيف شئت، أما أنا واقف الان لا عند خلفان ولا عند سعيد إلى أن أنظر.

فسار مولانا سلطان ودخل جانب عقبة المراح بنظر مولانا محمد بن خلفان وفتح له الباب وساروا جميعاً إلى مسكد وكان السيد سليمان بن خلفان بمسكد عند علي بن هلال والأبواب مقبوضة وفيها العساكر والعبيد من طرف سيدنا علي بن هلال.

وركضوا سادتنا على الباب الكبير وجرح واحد من ربعهم ورجعوا فسار سيدنا سليمان بن خلفان إلى سيد علي بن هلال وقال له: أطلع الكوت الشرقي ومن هنا أنت مكفاي الحجة، فلما طلع الكوت الشرقي توجه سيدنا سليمان بن خلفان إلى الباب الصغير وكان فيه بنو وهيب ولعله أعطاهم بعض المال وفتحوا الباب ودخلوا سادتنا سلطان ومحمد بن خلفان رقعة مسكد بلا حرب.

وبقي علي بن هلال محصوراً بالكوت وسيدنا الإمام سعيد بالرستاق(١) لم يجد سبيلاً لنصرة ابن أخيه علي بن هلال.

ثم نهض مشايخ العلم من الرستاق والسيد قيس بجيشه وأرادوا الإصلاح بين سادتنا، وبذلوا جهدهم لأجل حقن الدماء وسداد أحوال عمان عن الفرقة، واتفق أمرهم على أن يكون الكوت الشرقي بيد الشيخ ناصر بن محمد بن خلف ابن خميس بن سعيد الرستاقي، والكوت الغربي بيد سيدنا خلفان بن محمد وولده محمد بن خلفان، وسيدنا الإمام سعيد له كل شهر مائتين تومان والله أعلم.

---

(١) في هذا مصداق ماقدمنا من أن الإمام سعيد لم يمت إلا بعد عمر طويل من هذا التاريخ.

ووصل ولده أحمد وأنزل بن عمه علي بن هلال من الكوت الشرقي وقبضه الشيخ ناصر بن محمد والكوت الغربي قبضه سادتنا خلفان بن محمد وولده محمد، وبقيا مدة.

ثم إن الشيخ ناصر بن محمد ومن معه من الأشياخ والسادات أوجب نظرهم على إقامة سيدنا قيس بن الإمام إماماً وتوجهوا إلى الرستاق أكثر قبائل عمان وعلمائها إلى أن وصلوا الرستاق ولبثوا أياماً واختلفت الكلمة بين سادتنا لأمر خفي أراده الله، فلم يصح منهم اتفاق كلمة وتفرقوا في ليلة واحدة، وسيدنا قيس رجع إلى صحار وسادتنا سلطان بن الإمام والوكيل رجعوا إلى مسكد وبقيا مدة إلى أن أراد الله ظهور ما سبق في علمه.

فإن سيدنا سلطان أخرج ناصر بن محمد من الكوت الشرقي وقبضه بنفسه وأعطى سيدنا قيس بن الإمام كوت المطرح ومحصولها وبقي مدة بيده إلى أن أراد الله إظهار ما هو كائن، فأراد السيد سلطان الكوت الغربي من سيدنا محمد ابن خلفان واحتجز عليه، وكان خصيف بن مطر النيري(١) قابضاً عليه فمكث أياماً بتخليصه فخلصه بيد الشيخ ماجد بن سعيد وفسح لمولانا محمد بن خلفان وخرج من مسكد إلى بيته فلج حيل الغاف. ثم أراد الله إصلاحهم واصطلحوا ورجع مولانا محمد بن خلفان إلى مسكد وكيلاً بالفرضة.

***

---

(١) ذكره ابن رزيق باسم خصيف بن مطر الهنائي، انظر الفتح المبين.

ص.ب: ٦٦٨ مسقط الرمز البريدي ١١٣

البريد الالكتروني : E-mail:info@mhc.gov.om

موقع الوزارة على الانترنت : Website: www.mhc.gov.om

رقم الايداع : ٢٠٠٥/١٨٥م

المطابع الذهبية ش.م.م -٢٤٦٩٩٩٧٢